الفكر

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا

مؤسسها ومديرها المسؤول : محمد مزالي

رئيس التحرير : البشير بن سلامه

الادارة : 13 نهج دار الجلد - تونس

تلفون : 260.237

الحساب الجاري : 337.69 - تونس

العنوان : ص. ب : 556 تونس 1025

● تصدر مجلة الفكر عشر مرات في السنة وتحتجب في شهري اوت وسبتمبر .

● قيمة الاشتراك السنوي :

الاشتراك العادي بتونس والبلاد العربية 6 دنانير .

الاشتراك بالخارج : 7 دنانير .

اشتراك الانصار : 12 دنانير .

● الاشتراكات يرسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة او يصب في حسابها الجاري : 337.69 - تونس .

● الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر .

● المراسلات تكون جميعا باسم :

مدير مجلة « الفكر »

صندوق البريد عدد 556 - تونس

العدد 10 جويلية 1986 - السنة الواحدة والثلاثون

Revue Mensuelle Culturelle - 31ᵉ Année - N° 10 JUILLET - 1986

طبع الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم - تونس

تحت رقم 542 / 1986 الايداع القانوني 3 / 1986

« ورق الفكر » من انتاج « الشركة القومية لعجين الحلفاء والورق »

"الفكر"

وقد اجتنبنا منذ البداية خطرين كثيرا ما وقعت في أحدهما المجلات والمشاريع الادبية بصورة عامة.

الخطر الاول هو خطر الاطمئنان والراحة العقلية. فنحن لم نضح بأوقاتنا لنخلق مشروعا غايته نشر ما يمكن نشره و «إمتاع» القراء بما يتفضل به علينا.. صندوق البريد مما قد لا يوجد بينه انسجام ولا يتبين معه اتجاه وتظهر منه وحدة، فكأنه الفسيفساء.... لقد رسمنا لانفسنا خطة من أول يوم ووضعنا هدفا وتحملنا رسالة لانا شعرنا بفراغ في حياتنا الفكرية ولان القلق اعترانا والتساؤل في شؤون مصيرنا ألح علينا. فنحن حينئذ شاعرون بما ينقصنا وشاعرون كذلك ـ وبالذات ـ بوجوب استكماله.

اما الخطر الثاني فهو التمذهب «القبلي» والتسليم ببعض الحقائق اوالمبادىء المقدسة ثم التصدي الى الدفاع عنها والتحمس لها، فتنقلب المجلة في هذه الصورة بوقا لفلسفة بعينها ولا يعدو الكاتب ان يكون كالمرتزق يحارب من أجل قضية قد لا يدري هل هي «حق» في حد ذاتها ولكنه تعصب لها فطغت عاطفته على نور العقل في بحثه وتثبته وتشككه ومعاناته للتمييز بين الحق والباطل والخير والشر والجميل والقبيح والنسبي والمطلق.

محمد مزالي

(★) انظر الفكر : عدد 1 ـ السنة 2 ـ 1956

إلى القارئ

في الصيف

بقلم : البشير بن سلامة

بهذا العدد تكون المجلة قد ختمت سنتها الواحدة والثلاثين ودخلت فى عطلة الصيف بعد صدور عشرة اعداد فى هذا الموسم ، كان أبرز حدث هو الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على تاسيس مجلة « الفكر » . ونحن نعلم ان الصيف كان دائما بالنسبة الى قراء الفكر فرصة للرجوع الى اعداد السنة ، مطالعة متانيـة ومتابعة ذكية لما تضمنته العشـرون وخمسمـائة والالـف صفحـة من انتاج فكرى وأدبى متنوع .

نعم ستكون الحرارة فى الصيف مرتفعة والجو ثقيلا وسيكون ذلك الفصل قطعة وهاجة من الضوء الذى يرق فى شفافية متناهية الى حد الهباء تتناقله موجات الاثير وتدخل به شغاف النفوس وتتحطم على صخرة المجهول رغم ان الصيف فيه يتحلل الناس من كثير من القيود ، قيود اللباس وفروض العمل واغلال الجد وفيـه يطلقون لأنفسهم العنان فيلقون بها فى البحر طلبا للنجاة وعودة الى البدء .

والصيف فى تونس اقل وطاة من بلدان المشرق العربى ناهيك ان السنة عند العرب « اربعة ازمنة : الربيع الاول وهو الذى تسميه الفرس الخريف ثم الشتاء

ثم الصيف وهو الربيع الآخر ثم القيظ » . وتونس لا تعرف ذلك القيظ الوقاد الذى يطلع مع الشمس ويغرب معها اللهم الا اذا فتحت احيانا كـوى السموم (الشهيل) بلفحاته التى تصهد كل شىء : جلود البشر ، ونضـارة الطبيعـة وتمتص ما فى الحياة من رحيق وما فى المحيط من انساغ .

واذا كانت الشمس تتقد الى حد تبين دارتها بوضوح ، مرهقة للنظر ، حاسرة له ، من شدة الضياء فانها بذلك تتوارى وراء الضوء لتبرز الاشياء ناصعة وضاحة ايثارا منها وبعدا عن كل نرجسية وانانية بينما القمر عندما يعتلى عرش الليالى فى صحوها وشاعريتها يستأثر بكل شىء ولا يهمه الا امره واستدارة هالتـه وليس له من عقاب فى ذلك الا تناقصه ليصبح هلالا ثم عدما يلح على الظلمة ان ترحمه وتشفق عليه وتنير طريقه بالنجوم الساطعة او بالاحرى بالنجم الثاقب .

وللانسان مع الصيف اساطير منذ بدء الخليقة اذ هو يحس بالعنفوان والقوة فتشده الحياة بعنف لتقذف به فى اتون من الحركة الى حد اللهو ولا غرو ان تكثر فى هذا الفصل المهرجانات والعروض الراقصة والموسيقية ولا غرو ان يشرد ذهنه وينعتق من كل قيد ويتجاوز المألوف المشدود الى البشر والمجتمع ناهيك أن الاسطورة القديمة تعتبر المولود فى الصيف هو ابن السماء ، « صديق الرياح المتقلبة والمهاجرة وخدين المياه الحرة بينما المولود فى الشتاء سيكون الابن الحقيقى للبشر وسيكون مرتبطا بشكل الانسان ، بالنوم ، بالنار بحراس العدالـة » .

وكان الصيف يغمض عينيه عن اولئك الفلاحين المصهودين بالشمس الذين يحصدون الخيرات ويقدمونها الى سائر الناس وفيها مـن عرقهـم وعنائهـم ما يعطيها وهجا براقا والقا رائقا وكان الصيف يغمض عينيه عـن الآخريـن الذين لا يفتؤون يحصدون خيرات جهدهم ليقدموها قربانا للحقيقـة والحرية

والعدالة ولعله يفتح عينيه واسعة لاولئك الذين لا يجدون ما يحصدون الا الرعب . هو اذن في هذه الحال صيف ظالم ، طاغية .

ولا ننس ان الصيف مقترن بالخصب وان الاحصاءات تدل على انه الفصل الذى تكثر فيه الزيجات وهو حسب الاسطورة الفترة التى تكتمل فيها صورة البطل وتستعد الأنثى للاقتران به وهو تجسيد لفكرة « اتحاد السماء بالارض على الصعيدين الجنسي والروحي » . ولهذا فان للمراة دورا كبيرا في هذه الاساطير ولكن العجيب ان وضع المراة غريب إذ يعكس تصورات الرجل المتناقضة لهذا الكائن البشرى المرغوب فيه حتى العبادة والممقوت حتى الموت . وهو ما شببهه بعض الباحثين برقاص الميتولوجيا اذ يتارجح بين ما هو ارضى او بيولوجى وبين ما هو اكثر تجريدا او روحانية . ان فى الصيف لأسرارا دفينة تطفو على السطح مثلما يطفو الغريق طلبا للنجاة .

والصيف ايضا مقترن فى اذهان الناس جميعا اهل المدن والريف بالصرار او الجندب الذى يزداد نشاطه بارتفاع الحرارة ولا ينفك يضرب على طبلته مرجعا نفس الصرير ، كما اعتاد الناس سماع ما نسميه « بوزنان » الذى تذهب الاسطورة الى القول بانه يعمل على انضاج الثمار وخاصة التين والتين منه براء ولا حول له ولا قوة شانه فى ذلك شان كثير من البشر الذين يدفعون دفعا الى الضجيج ويملؤون الساحة صراخا ويظنون انهم بصدد التاثير على الاحداث بطنطنتهم المجنونة المصمة للآذان .

ولا ننس ايضا ان الصيف يقترن عند اشتداد الحر بظهور تلك الدويبة الخطيرة الا وهى العقرب وكم خشى الانسان جانبها واعتبرها ظالمة لأنها تضرب كل من يتحرك . ولله در الشاعر عندما قال :

رايت على صخرة عقربا ... وقد جعلت ضربها ديدنا
فقلت لها انها صخرة ... وطبعك من طبعها الينا
فقالت صدقت ولكنني ... اريد اعرفها من انا

ولعل الصيف هو الفصل الذى يشعر فيه الكثير من الناس بالحرية ويتحررون من القيود ويميلون الى صرف الوقت والحال ان مجتمعاتنا بقدر ما هى محتاجة الى الحرية وقد ناضلت طويلا من أجل افتكاكها بقدر ما هى مطالبة بالعمل والكد للحاق بالامم المتقدمة ، ذلك ان الحرية لن تدرك بالتحلل من المسؤولية بل بالنضال الحقيقى ضد كل اشكال العبودية الكامنة فى النفس والمتفشية فى المجتمع والضاربة فى هياكل كل نفوذ ولعل مجتمعات العالم الثالث ستبقى طويلا مجنونة بالحرية ولكن الحرية مجنونة بالآخرين اما العبودية فمجنونة بها مع انها لا تريدها . ولله در الشاعر الذى قال :

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا ... واخرى بنا مجنونة لا نريدها

البشير سلامة

حول عقد حضاري بين الشمال والجنوب

بقلم : محمد مزالي

عندما تتسم اللحظة بروعة الاحتفال(*) لايتوانى الفكر فى نعومته عن الانسياق مع خطرات القلب ولكن التقاليد تقتضى فى مثل هذه المناسبة ان يكتم الناس حميم عواطفهم فلا يتحدثون البتة عن اشخاصهم ، لذلك لن اتحدث عن نفسي.

هذا الامتناع يستجيب بالتاكيد الى واجب التواضع المتحتم ، بل اننى على وجه الخصوص امتنع بطيبة خاطر اقتناعا منى بان ما تخصنى به جامعة روما من آيات التكريم يتجاوز ما ارتأته لى ممن جدارة واستحقاق ، ليشيد اساسا ببلدى ، بتاريخه الذى تداخل مرارا فى حلقة القرون الايطالية ، وليمجد اخيرا حكمة الرجل الفذ الذى انفق طاقات شبابه وما انفك يهب حياته فى مضاء وحزم من اجل ان يرى تونس المعاصرة محتفظة بمرتبتها فى مصاف الامم الجديرة بالتقدير ، اعنى الرئيس الحبيب بورقيبة .

وبالفعل فاننى اعلم عن دراية بان تونس ليست بالنسبة الى الايطاليين مجرد سوق قريبة او بلد سياحى جميل ، فهناك اكثر مـن دليل يؤكـد لى عميـق تقديركم لمؤسس جمهوريتنا وباعث الجامعة التونسية ، ان الشجاعة المنقطعة النظير التى تحلى بها فى المعركة التى خاضها من اجـل ضمان كرامـة امهاتنـا وازدهار بناتنا ، اكسبت محرر المرأة الرئيس الحبيب بورقيبة مودة الشعب الايطـالى .

(*) هذا نص المحاضرة التى القاها الاستاذ محمد مزالى بجامعة رومة La Sapienza فى 28 فيفرى 1986 .

انه لمن حسن الطالع ان اجد نفسي اليوم في مكان يستثير الاعجاب وقد تميز منذ احقاب طويلة بالذهن السني وبالفكر الخلاق . ومنذ اليوم المبارك يوم 21 افريل 1303 حيث اصدر قداسة البابا بونيفاس الثامن قراره بمنح مدينة روما مؤسسة جامعية فان جامعة روما التي تزدان بانبل الاسماء على الاطلاق « لاسبيانزا » (الحكمة) لم تفقد اى فضل من افضالها .

فقد استحقت بتعليمها الرفيع وبحوثها الرائدة ونشاطاتها التى تبذل بسخاء فى غمرة الازمنة الصعبة احيانا ، ان تصبح « جامعة العالم » اكثر من كونها « جامعة المدينة » ، وعلى الواحها الاكاديمية خطت منذ القرون الوسطى اسماء لمعت فى الفنون الحرة وكذلك فى العلوم والطب وكفى جامعتكم فخرا ان « كوبرنيك » الشهير قد درس بها الرياضيات طوال اربعين عاما خلال النصف الاول من القرن السادس عشر وان كتابه الفريد « دوران العوالم السماوية » الذى يعتبر مرجعا اساسيا فى تاريخ العلوم الحديثة قد نشر بروما . ولقد مكن المعرفة البشرية فعلا ، باقامة الدليل على حركة الكواكب المزدوجة حول نفسها وحول الشمس ، من انجاز ثورة شاملة وحاسمة .

ولن يفوتني كذلك ان اذكر اسم الطبيب الكبير « مركوريال » الذى اشتهر فى القرن السادس عشر والذى كانت له روابط بالطب العربى من خلال مدرسة « سالير » الطبية وقد اولى عناية خاصة بالتربية البدنية فى كتابه المعروف « فن الرياضة البدنية » .

وستسمحون لى - ولا ريب - بان اذكر كذلك بروابط جامعة « لاسبيانزا » مع الاقطار المتوسطية ومع بقية انحاء العالم . وانكم لتدركون بالتاكيد مدى تأثرى باعتبارى مثقفا عربيا ، اذ اجد ضمن من منحتهم جامعة روما الدكتوراه الشرفية الى جانب اسم « السير الكسندر فليمينغ » مكتشف البينسلين ، اسم مرب عربى محنك هو الكاتب الجليل القدر عميد الادب العربى الدكتور طه حسين .

ان ما اوليتمونى اياه من تقدير ليمثل بالنسبة لى شرفا اثيلا وان ما اشعر به اليوم من شديد التأثر بان يكون احد التونسيين اول عربى يفوز بالميدالية الكبرى لجامعة روما لهو من جنس ذاك الشعور الذى غمرنى يوم 16 مارس 1985 بالصربون اذ اسندت الى هذه الجامعة وسامها ، ومهما يكن عمق ابتهاجى بكونى

المتحصل السعيد على هذا الوسام الرفيع ، فقد حرصتم معى بهـذه المناسبـة السانحة على التنوية بصداقة راسخة الجذور لا نفتا نتعهدهـا هـى الصداقـة الدائمة بين تونس وايطاليا .

انى لن احدثكم عما يمحور علة وجودى ويشكـل نـوعية حيـاتى ، اعنى اختياراتى على دروب الحرية ونظام القيم الذى يرافق ايامى ، ذلك العمل الدؤوب الرامى الى تاكيد كرامة الذات التى وقفت لها ، منذ سنيـن عديـدة ، كلمتى وقلمى وكل قواى .

فلاقتصر على التعبير بحرارة واقتناع عن عرفانى ، نافـذا الى الجوهـر اى ابراز ما يربط بين بلدينا من علاقات .

ليس ثمة ، كما تعلمون ، من حديث اريب عن تونس وايطاليا لا يتعرض فى البدء الى روما وقرطاج ، لحقيقة ماركزته هاتان المدينتان من اسس اولى قامت عليها علاقاتنا الحميمة بالحضارة .

فكم مرة فى واقع الامر عالج فيها الخطباء والمؤرخون من رجال السيف والقلم هذا اللقاء الفذ فى تاريخ الكون وافاضوا فيه القول ، ايام كان العالم يدور فى فلك بحرنا المتوسط الحبيب .

انى ـ ولا ريب ـ لا اتعرض الى هذا الموضوع المتاكد المتعلق بالعصور الخالية والآتية ، انسياقا مع مقتضيات البيان والفصاحة ، كما ان الشـان لا يتعلـق بسعادتى اذ اجد نفسى من جديد ، وراء القمطر فى قاعة الدرس التى قضيت فيها اروع سنى حياتى كاستاذ ، فازمع بدورى معالجة الروابط الهوجاء المحتدمة التى يتعذر على البشرية انزال الستار عليها لشدة رسوخها فى الذاكرة .

افعل ذلك لانى محظوظ بمولدى فى موطن قرطاج وبوجودى اليوم فى روما محل تشريف وتبجيل بجامعة « لاسبيانزا » بفضل ما حبوتمونى به مـن كريم الصداقـة .

وبذكرى لقرطاج يتعين على فى الحقيقة ان اذكر باحداث تتجاوز فى واقعها كل التزام سياسى وما لست أدرى من مواقف ايديلوجية مسبقة .

ذلك اننا فى تونس احببنا قرطاج قبل ان نعرف ما هى . كان ذلك بمثابة نشيد عميق يوقع فينا نداء الجذور ويوطد من تعلقنا بارض الاجـداد . كانت

عروبتنا المهددة آنذاك بالذوبان تحت ضغط الاستعمار تجد فى هذا التذكير المجيد بالاسهام النشيط الذى قدمه بلدنا لتاريخ العالم سببا متينا من اسباب الامل الوطيد ابد الدهر .

وهذا ما يفسر دون اى استخفاف بلاطينية « تيت ليف » ان ذاكرتنا تفضل الاحتفاظ بالرواية البديعة الحزينة التى قدمها « فيرجيل » عن غرام « ديدون » و « اينى » وهذا ما يفسر ايضا كيفَ اصبح القائد الفذ حنبعل الـذى طبقـت شهرته الآفاق والعصور بطلا قوميا فى عيون التونسيين المنتميـن الى الثقافة العربية والحضارة الاسلامية .

وبعد ان بلغ الرئيس الحبيب بورقيبة « الجوقرطا المظفر » بحركته التحريرية المثابرة نتيجتها المرجوة ، حرصت الدولة التونسية الفتية ، من خـلال التعليم والبحث ، على ان تجعل من قرطاج مادة معرفة مضمونة وموضوع نشاط ثقافى وهكذا استعدنا ذاكرة القرون ، بعد استردادنا للحرية ، وازداد احكامنا لتحليل الواقع ودقائقه ، وكرجال احرار ، عاودنا الاحساس بالحلم والعطـف ، وان استبقاءنا لاسم « كاتون » مرسوما على صفيحة نهج من النهج تونس يقوم دليلا على ان ورثة قرطاج قد صفحوا عن « كاتون » بعد ان شفى غليل حقده .

لقد تعلمنا بالخصوص من وراء منطق الحرب ودواعى المواجهة انه كان بين قرطاج وروما كقطرين متجاورين اسباب عميقة للتقارب .

والواقع ان المدينتين العظيمتين قد تقاربتا فى مناسبات عدة ، بل انهما قد عقدتا معاهدات سلم ووفاق ، فكانت مبادلاتهما متعددة ومتواصلة ، وهكذا ، وفق ما يعلمنا اياه المؤرخون فى ايطاليا وتونس فان قرطاج وروما باسهاماتهما التقنية والفنية قد شاركتا بصورة مكثفة فى المد الحضـارى بالبحـر الابيض المتوسط والعالم القديم .

لقد اطلت الوقوف عن عمدٍ عند ازمنة تمتد الى الفى سنة واكثر . ذلـك ان تونس تحتفل هذه السنة تحت سامى اشراف الرئيس الحبيب بورقيبة بالذكرى المائوية الثامنة والعشرين لتاسيس قرطاج وستشارك معنا ايطاليا الصديقة فى هذه الاحتفـالات .

بيد انى اردت بدورى على وجه الخصوص طرد الاشباح القديمة ، مبينا اهمية روابط الوفاق بين القرطاجيين والرومان ، عوضا عن الاقتصار على ابراز الحروب المعروفة بالبونيقية ولقد فكرت بالفعل فى انه يحسن (كما هو الشأن فى كل الظروف) التذكير باسهام كل شعب فى المجال الحضارى بحسب عبقريته الخاصة وجذوره الثقافية والنوعية التى تتميز بها نشاطاته بدل التركيز على مقاربات لم تكن فيما مضى سوى شعارات حربية ولم تعد الآن الا واقعا محرفا مثل ما يزعمه البعض من سوء نية وراثية عند هذا الطرف قبالة تقوى يضرب بها المثل عند الطرف الاخر .

والحقيقة ، حسبما برهن عنه التاريخ عبر تتالى الاحقاب هى : ان لنا على ضفتى الحوض المركزى للبحر الابيض المتوسط ، طاقات يمكن ان تكون متكاملة ، واستعدادا جغرافيا للترابط ، فهناك هذا الرأس الافريقى المتجه نحو اوربا وهذا المنفذ الاوربى صوب القارة الافريقية ، ومنهما عبر كل الانماط وحسب ايقاعات متنوعة ، تظافرت جهودنا من خلال المد والجزر وتطورت علاقاتنا ومارسنا الفن الصعب ، فن الاخذ والعطاء بصورة متلازمة .

انى اعلم حق العلم ان كل الاسر الفكرية فى جامعة مهيبة كجامعتكم تتعايش بصورة سلمية وان كل اسرة منها ـ حسب منهجها ـ تبحث فى عمق الاشياء وفى الحقيقة مبقية على شرف الوظيفة الاكاديمية ، بيد انى اعلم ايضا عن طريق اصدقائى المؤرخين ان جامعة « لاسبيانزا » لا تمارس البتة الارتياب المحترف .

ليس بوسع احد اذن ان يتهمنى بأنى اقدم من تاريخنا المشترك رؤية مثالية او اطلالة مبسطة . ان دليل تكافلنا الثقافى وتكاتفنا الحضارى ، يكمن فى البناء عبر تقاطع تيارات التاثير وانتشار مصطلحات التزويق فى العالم المتوسطى من ادناه الى اقصاه .

كما نتبين ذلك الدليل فى طريقة العيش وفى اتقان اضفاء الجمال على الواقع دون ان نخلع عنه نصيبه من الحلم . ويتأكد ذلك اخيرا فى الابداع الفكرى ، والتبادل المعرفى ونشر التقنيات . واقول اجمالا انه يكفى لتأكيد هذا القول النظر باستمتاع الى اقواس « كوليزى » افريقيا ، قصر الجم العظيم ، او الى رسوم الفسيفساء التى تروى الاسطورة الذهبية للالهة والابطال ، كما يكفى التمتع فى « باليرمو » برؤية الزخارف العربية الرقيقة فى قصر « لازيزا » او الهندسة المتناسقة فى مصلى كنيسة « بالاتين » .

انى اود ، انا القادم من بلد عربى مسلم ان احيلكم ، لذكر الحضور الفعال للحضارة العربية فى ايطاليا ، على التحاليل التى تضمنها كتاب من امهات الكتب

من تاليف احد فطاحل الدراسات العربية فى العالم هو الاستاذ البارز بجامعتكم السيد « فرنسيسكو جابريالى » . ان كتابه البديع الذى ظهر حديثا والذى يشكل مجملا للفن والتاريخ والثقافة العلمية ، يوضح ان الحضارة العربية الاسلامية كان لها اسهام فى غاية الخصوبة بايطاليا على غرار ما كان لحضارة روما فى تونس القديمة .

واذا ما عن لنا النظر فى الازمنة القريبة التى تفسر حاضرنا بصورة اوضح فانى لا اخالنى مبالغا فى التاكيد بان رؤية تونس اليوم تكون مبتورة بدون مراجع ثقافية تتصل بالبندقية وجنوة وروما والمرافىء الصقلية ، وبدون التذكير بكل ما يدين به الى شبه الجزيرة الايطالية تخاطبنا اليومى وفن الطبخ عندنا واسلوبنا فى التزويق وحتى الفكر السياسى لدى عدد من كبار المصلحين التونسيين فى القرن التاسع عشر .

حضرة السيد العميد ،

بوصفكم احد كبار المختصين فى « نظرية الانظمة » فانكم اولى منى فى وضع الترابط الثقافى التونسى الايطالى داخل نسق وتنظيم .

ان المعرفة النظرية ، وفق ما درستموه مدة طويلة بكلية المهندسين من شأنها ان تعزز السير نحو التطبيق العملى . ان تلكم الروابط التى ركزها التاريخ بين ايطاليا وتونس قد افضت الى ممارسة تثير فينا من الجانبين مشاعر ارتياح لا تشوبه شائبة . وكما تعلمون ايضا فاننا نحن التونسيين والايطاليين مقرون العزم على اعطاء مالهما من علاقات مستقبلا مضمونا .

ان مبادلاتنا الاقتصادية ، التى تتنوع بصفة دورية وكذلك تعاوننا الثقافى المتين تشكل واقعا لا يخضع الى مزاج الساعة ولا الى الاحتمالات السياسية ، فالزيارات والاجتماعات الوزارية المتكررة تمنحها البعد الانسانى الضرورى ، اذ ان المصلحة بمفردها لا تضمن الديمومة فى شؤون هذا العالم .

وكما لا يخفى عنكم ، فانى ، فى انتظار ابرام ما اسميته « بالعقد الحضارى » بين اقطار الشمال والجنوب ، دعوت الى تعزيز التضامن بين ضفتى الحوض الغربى للمتوسط .

وفى هذا الاطار فانى لا افتأ اناضل من اجل ان تتجاوز الصداقة التونسية الايطالية ما ليس منه بد من عقبات يومية وان تهىء للمستقبل بصورة نشيطة وان تجعل علاقاتنا الاتية جديرة بالتقاليد العريقة التى سنها ماضينا المشترك .

وفى هذا المجال فاني مقتنع بان للجامعة دورا ليس بالثانوى .

بما انكم اردتم بمنحى هذه الميدالية تذكيرى باننى واحد منكم وبان العالم الجامعى التونسى ليس عنكم بغريب فاني ساحدثكم كزميل . لقد آن الاوان ، فيما ارى ، ان تعطوا بدوركم الصداقة التونسية الايطالية بعدا خاصا .

ان حقول الماضى التى كانت تتعدد فيها لقاءاتنا ، ينبغى لها من الآن فصاعدا ان تقدم للتعاون اكثر من مجرد لقاطة حبوب ، وعليكم بمعية زملائكم الاثريين والمؤرخين ان تزيدوا من استصلاح ارضها .

واود فى هذا الصدد ان الفت انتباهكم الى عقليات اكل الدهر عليها وشرب ، ولكنها لا تفتأ تنطوى على بعض الاخطار .

انى اشير هنا الى ما اسميه من ناحية « بالمسألة البونيقية » وناحيـة اخرى « بمشكلة وضع الفكر العربى الاسلامى » . فكما تعلمون لم يزل بعضهم ، فيما يتعلق بقرطاج ، عند ايديلوجية «تيت ليف» . انهم لا يجدون فى ما يكتشف من علم الزراعة القرطاجى ومن الفن البونيقى والاسهامات الثقافية التى قدمها فينيقيو الغرب ، ما يدعوهم الى مراجعة مضمون تعليمهم ولا محتـوى الكتـب المدرسية . فهم ، كرها او طوعا ، يواصلون تبرير التهم التى يلصقها بعض رجال السياسة ممن يخلطون بين المشارق كلهـا ، او الشتائم التى يكيلهـا بعض الصحافيين المشطين فى تقمص الاوروباوية المركزية .

وكذلك الشأن بالنسبة الى اسهام العالم العربى الاسلامى فى ازدهار الحضارة الانسانية ، ففى هذا الموضوع ايضا هناك مـن يود التمسك بالـرأى الوهمى القائل بان الامر لا يتعدى النقل واحيانا مجرد الاقتباس مع السعى الى التقليل ، ان لم نقل الانكار ، فيما يتعلق بالاسهام المبدع والنشاط الخلاق ، وخاصة فى مجال العلوم والطـب .

وحتى نضع حدا لهذه المعارك الخلفية التى تجاوزها الزمن وهـذه الاحكام المسبقة المحفزة على الريبة ان لم نقل الضغينة ، فانه يتعين عليكم معشر الجامعيين احباء الحقيقة ، ان تضربوا المثل على النزاهة التاريخية وعلى الموضوعية المنهجية وعلى رفض التعصـب .

ذلك ان الجامعة هي حارسة للقيم ، وبواسطتها ، ان هي كانت يقظة باستمرار يمكن لروح التسامح ان تتغلب على التزمت ، وللبراهين النيرة ان تنتصر على الحجج « الدامغة » ، وللتنافس ان لا يصبح البتة مواجهة وصداما .

لذلك طالما ان الوعي الصحيح بالماضي واليقظة تجاه الحاضر ليس بوسعهما ان يحققا انجازا دائما دون الحرص المستمر على المصير ، فانه من الضروري ان نتوجه معا الى المستقبل . وانى لارجو ان تتشكل مجموعات مختلطة من الباحثين التونسيين والايطاليين ليتقاسموا المعرفة وليمتلكوا التقنيات وليتعلموا كيف يعملون في اتفاق وانسجام .

واذا ما اردنا بلوغ هذا الهدف ، فانه يتعين ان تتاح ذات يوم وفي حمية ، امكانية ان نتوصل الى ان نكتشف معا وان نفيد بلدينا بهذه الاكتشافات المشتركة ، فليس ثمة غير هذا السبيل ، في نهاية هذا القرن التكنلوجي ، وقد يكون من باب المغالطة والتوهم ان نحاول اعطاء التضامن محتوى آخر . وقد يؤدي الامر في خاتمة المطاف الى ضرب من الثنائية التي تشتت الطاقات والى مجرد تبادل كلمات معزولة عن الفعل وقد ينسينا ذلك ان العالم يتغير تحت ابصارنا وان الايام تمر فلا ترحم المتأخرين عن القافلة .

اني ، اذ اشكر لكم كريم عنايتكم ، حريص على ان اختم كلمتي بنبرة من التفاؤل . اني آمل بحرارة ان تتمكن جامعة روما التي اصبحت منذ الآن مشدودا اليها ، من المساهمة النشيطة في تحقيق هذه الغاية التي لا يتوقف عليها مستقبل منطقتنا المتوسطية فقط ، بل يتوقف عليها توازن العالم ايضا .

اني اعلم ان جامعة « لاسبيانزا » تملك الوسائل لذلك وفي مختلف مجالات العلوم والفنون والتقنيات ، واتمنى ان تعجل بالتعبير عن صادق العزم على القيام بهذا العمل وان تجد لدينا أطرافا في المستوى المطلوب . ذلك ان كلياتنا الفتية في تونس تستند الى تقاليد ترجع مع الجامعة العربية الاسلامية الزيتونية الى القرن التاسع كما انها تستمد انفاس الرجاء التي تنعشها ذكرى حية على الدوام ذكرى ابن خلدون صاحب الفكر الشمولي .

وهكذا تتاح لنا جميعا فرصة نادرة تتمثل في ان نكتب صفحة في منتهى الروعة في الكتاب الكبير الخاص بالصداقة العريقة الضاربة جذورها في التاريخ بين تونس وايطاليا .

محمد مزالي

احذروا غضبة القصيدة

أحمد اللغماني

مثلما الشعرُ وادعٌ .. وحنونُ   هو – إن ضيمَ – ماردٌ مجنونُ

مثلما تشتهي المَسامعُ نَجْوا   هُ، وتهفو لِشَطرتَيْه العيونُ ..

تُتَّقى قصفُه المُريعُ ، ويُخشى   بأسُه القاهرُ الذي لا يلينُ .

فاحذَروا غَضبة القصيدة إنّ الـ   حرفَ – إنْ ثارَ – خنجر مسنونُ

لا تشُدّوا وثاقها ! إنّ سَجّا   نَ الشّذى والضّياءِ هو السجينُ

والذي هَجّنَ القصيدةَ لم يخْـ   طُرْ له أنّه اللّقيطُ الهَجينُ

قد يَهونُ العزيزُ يوما من الايا   مِ ؛ ما الدّهر بالحظوظ ضَمينُ

بَيْدَ أنّ القصيدةَ الحُرّةَ العَصْـ   ماءَ تَبقى عزيزةً لا تهونُ

علال الفاسي في ذكراه الثانية عشرة

بقلم: أحمد الحفناوي
(مصر)

في الوقت الذى تظهر فيه في عالم الاسلام زعامات ترفع شعارات الحقد والهوس والهمجية تلك الشعارات التي قرنوها ـ للاسف الشديد ـ بالدين الاسلامي الحنيف، وساهمت في تشويه صورته النقية أمام شعوب العالم.

في هذا الوقت يجدر بنا أن نسلط الاضواء على جانب من شخصية الزعيم العربي الاسلامي (علال الفاسي) في مناسبة ذكراه الثانية عشرة ذلك الزعيم الذى كان له دور عظيم في الحركة الوطنية بالمغرب العزيز والعالم الثالث أجمع.

اشتغل (علال) أثناء الدراسة بحركة تنظيم الطلبة رغبة في المطالبة بتنظيم الجامعة وتجديد أساليب الدراسة فيها ولمقاومة كثير من العادات المتبعة التي كانت تحاكي المستعمر الفرنسي في ذلك الوقت، وتزعم حركة الدفاع عن (ماء فاس) ومقاومة العمل الاستعماري ضد أراضيها سنة 1926 م واشترك في الدعوى لقضية الريف أثناء الحرب التحريرية بها، وقد حصل على عالمية القرويين سنة 1930 م وتطوع للتدريس بها فكانت محاضراته ملتقى النخبة المغربية من الطلبة وعامة الشعب، كما تطوع للتدريس في المدرسة الناصرية وساهم في حركة تأسيس المدارس الحرة وآلت اليه الزعامة للسلفية الجديدة ـ بعد ابن العربي والدوكالي ومن قبلهما «السنوسي» و «كنون الكبير» ـ وقد وهب (علال) الفكر الثقافي العربي الاسلامي العديد من البحوث والدراسات منها:

(النقد الذاتي) و الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ومهمة علماء الاسلام وغيرها أبدى فيها آراء بناءة في مجالات تربوية وعلمية وانسانية جعلته من قادة الفكر المغربي الاعلام، وكان الى جانب ذلك شاعر أو خطيبا مصقعا في الشمال الافريقي كله.

ولقد كان اشتغاله بالسياسة مبكرا ، حيث تزعم أول اجتماع للحركة الوطنية فى «فاس» وهو فى الثامنة عشرة من عمره .

جمع (علال) فى حياته الطويلة بين التدريس فى جامعة القرويين والعمل السياسى ، اذ كان زعيما لحزب الاستقلال المغربى وعاش قضايا المغرب السياسية والفكرية وعرضها فى عشرات من المؤلفات والمقالات ويعتبر من دعاة المدرسة الوسطى مدرسة بناء حضارتنا على أساس تاريخنا وأمجادنا وشخصيتنا .

كما كان ثمرة للحركة السلفية التى قادها محمد عبده والمنار والتى صبغت العالم الاسلامى كله بصبغة الفكر الحر القائم على المنطق والفلسفة .

وفى هذا المجال يقول «روم لاندو» وهو يتحدث عن اجتماع فاس الذى كان برئاسة «علال» فى أول محاولة اظهار قوة الحركة الوطنية المغربية . وهنا قال رئيس الاجتماع : دعونا نحرر نفوسنا قبل أن نحرر أبداننا ، ويعقب «روم لاندو» على ذلك بقوله : كان كأنه صوت جمال الافغانى أو محمد عبده فهو نداء مصلح اسلامى يعتقد أن التجديد المادى لا يمكن أن يتم ما لم يسبقه تجديد روحى .

كان «علال» يحاضر فى القرويين لكن السلطات الفرنسية منعت دروسه ، وحاولت اعتقاله ، فسافر الى شمال المغرب فحاصرته السلطات الاسبانية ، فانتقل الى «طنجة» ولما علم بالامر باعتقاله سافر الى باريس وشارك فى تنسيق الحراكات الوطنية لدول شمال افريقيا ، وانتقل الى جنيف فربط مع الامير «شكيب أرسلان» صلات وثيقة وتعاونا معا فى الميدانين : السياسى والعلمى .

أسس « علال » كتلة العمل الوطنى التى تعتبر أول حزب سياسى فى المغرب وكان أحد زعماء المعتقلين فى البيضاء سنة 1936 م ، وقد أعقبت اعتقالهم مظاهرات دامية شبهها بعض المؤرخين بثورة سنة 1919 م . الخالدة فى مصر اضطرت السلطة بعدها الى اطلاق سراحهم ، ثم دعا الى تحويل كتلة العمل الوطنى الى «الحزب الوطنى لتحقيق المطالب » .. واعتقل من قبل السلطات الفرنسية ونفى الى «الجابون» ثم الى «الكونغو» ولما قرر الحزب الوطنى ـ مع شخصيات مغربية حرة ـ تأسيس حزب الاستقلال احتفظ «لعلال» بمنصب رئيس الحزب الجديد ، فقام بتدعيم الحركة النقابية فى « فاس » والبيضاء ، وقام بدور فعال فى مكتب المغرب العربى بالقاهرة .

وقد نظم سنة 1950 م فى طنجة أول مظاهرة افريقية آسيوية لمقاومة الاستعمار وفضح مؤامرة الجنرال «جوان» سنة 1951 م ضد العرش والشعب فى المغرب ، وإثر إبعاد الملك محمد الخامس دعا للمقاومة المسلحة ورفض الاستقلال فى دائرة التكافل الفرنسى .

لقد ساهم « علال » فى جميع أعمال الحزب فى كل ما بعد الاستقلال ، حيث أسس العديد من الصحف والمجلات للدفاع عن المغرب وترأس مؤتمر أحزاب المغرب العربى بطنجة سنة 1958 م ، وساهم فى وضع مدونة الاحوال الشخصية وكان مقررها العام كما ساهم فى وضع القانون المدنى .

وفى 13 مايو سنة 1974 م توفى « علال الفاسى » فى « بوخارست » وهو يكافح ويدافع عن القضية الفلسطينية فى مؤتمر دولى .

وكان ميلاده سنة 1910 م فى مدينة « فاس » .

رحم الله الزعيم العظيم الذى ناضل وكافح الى آخر لحظة فى حياته من أجل : الحق والعدل والحرية .

د. احمد الحفناوى

بهذا العدد

تختتم مجلة « الفكر » بهذا العدد سنتها الواحدة والثلاثين وتدخل فى عطلتها السنوية راجية لقرائها الكرام اجازة صيفية ممتعة .. والى اللقاء مع مفتتح السنة الثانية والثلاثين فى مستهل اكتوبر 1986 .

انتعل الماء

شعر: الحبيب الهمامي

فِي المساءِ الشتائيِّ
انْتَعَلُ الماءَ
أدْخُلُ مَقْهَى الزنوج
وأبحَثُ عنْ شَاعِرٍ
خَبَّأَ الرَّعْدَ في الكَلِمَاتِ
ليقْرَأَ لي بينَ كأسٍ وكأسٍ
ويُشعِلُ في كبِدي البرقَ
في المساءِ الشتائي
يتحدُ الكونُ في وردة القيظ
في المساء الشتائي
شرطية السير ، تشكو المدينة للريح .
الشارع الرئيسيُّ مزدحمٌ .
يُشبِهُ امرأة حبُلَتْ بالشعوبِ
ويُشبِهُ قوسا يُهَيِّءُ
سَهْمَ الغمُوضِ
لهذا الفضاء المُسيَّجِ بالطَّيْرِ والعابرينْ .

ثلاثة أرصفة وطريقان
يندفعان إلى البحر
أسأل شرطية السير
سيّدتي : — أرأيتِ خطاي ؟
وأسألُ : — يَا بَائِعَ الوَرْدِ
أينَ التي عَشِقَتْنِي وَلَمْ أَرَهَا بَعْدُ ؟
أسْأَلُ سِرْبَ المَقَاهِي
— لماذا الأحِبَّةُ جَاؤوا :
ولم يدخلوا كبدي
لعلَّ ابن خلدون
شقَّ السؤال
وَجَاءَ عَلَى غَيْمَةٍ يَتَقَفّى خطاه
تَنَزَّلَ فِي رَحِمِ النُّور
أشْعَلَ خَيْمَتَهُ
وَتَوَسَّدَ سِرَّ المَسَرَّاتِ
أخرس بَرْقَ الخراب
وأعلن أيامهُ للشعوب الكئيبة
حتّى تغالطَ هذا الفناء الذي يترشف
أدْمعة العصر
هذا ابن خلدون يخطبُ :
يا قومُ لا شيء يَنْبُضُ في الشمس غيري
أتيْتُ لأقرئكُمْ سُورة الخلقِ
إني ابن خلدونَ
فاتّبعوا شرري

وادْخلوا في صــراطي
لعلَّ الخواء الذي يحتويكم ، يخور .
ويسألني ابن خلدون عن زمني :
– أهُوَ المــاءُ ؟
لمْ أستجبْ للجَواب
فعانقني وبكى

* * *

من جامع الفَتْح حتّى قناطر باب عليوةَ
يَكتشفُ القلْبَ أتْعابَهُ
يتكوْكبُ بينَ الظهيرةِ
والعرقِ المتصببِ من حَجَرِ الطرقات
ويقرأُ أحـوالهُ
كم تعلّقَ بالصبر !
فانتحر الصبر تحت عواء البهاء
وكم ظنَّ حُلماً ! فلمْ يأتِ
كمْ باعَ اعصابَهُ لخطى الفتيات !
وكم رضعَ الرّمْحَ في غَفْلَةٍ مِنْ بَقَايَاهُ !

* * *

مِنْ مَسْجدِ الفتح حتى قناطر باب عليوةَ
يَسْقُطُ مَوْتِيَ ، قبل الوصول إليَّ .
دَمِي جفَّ
يَا تُونسَ الأُنْسِ
كيفَ سأكمِلُ هذي القصيده !؟

الحبيب الهمامي

قراءة اجتماعية لقصة "النقرة مسدودة" للبشير خريف

بقلم : عبد المجيد النفزي

لقائل أن يقول : لم نبحث عن بنية المجتمع بين حروف قصة ؟ (*) لم لا نسأل ديوان الاحصاء او ادارة الاداءات لنستفيد الخبر اليقين !؟

ان الاثر الفني لا يكتبه فرد ، بتأثير الفاعل الجماعي ،،، ومن هذه الوجهة يدرس الاثر الفني اجتماعيا ، وهو يملك من الوضوح والقدرة على التعبير سواء عن المشاغل الجماعية او الفردية ما قد لا يقدر عليه المقال أو التحليل ،،، ذلك ان هذه المشاغل حين يحاول صاحب المقال أو التحليل أو الخطاب السياسي الحديث عنها قد تعرقله موانع الظرف أو حاجز اللغة أو عائق الاعتبارات السياسية والفن ميزته انه يتيح لصاحبه حرية أوسع ويزيل بعض هذه العوائق ، ويرفد الوعي بمدد من اللاوعي الفردي والجماعي .

ملخص القصة :

ضيف الله موظف يعيش وحيدا فقرر أن يقضي أسبوعا من الراحة بأحد النزل الفخمة الموجودة بمدينة ما على الشاطىء التونسي ، فصادف في تلك المدينة صديقه عبد الكريم وقد تعارفا قبل ولم يلتقيا فلام عبد الكريم صديقه على سكنه الفندق بينما داره بالبلد ، وحاول ضيف الله ان يقنع صديقه انه لم يقصد النزل اضطرارا بل قصده لطلب المتعة ، لكن عبد الكريم احتج بأن داره أوفر مرافق من النزل ، جلسا في المقهى ثم توجها الى البيت وقت الغداء ، ترك عبد الكريم ضيفه خارجا ودخل هو ثم عاد يقوده وينظر في عينيه كي لا يسترق النظر ناحية الحريم ،،، البيت مرتب على النمط الريفي ، بقيا ينتظران الغداء وعبد الكريم يشرح لضيفه ما وجد في كفاحه من تعب حتى كون هذا البيت وأصبح على ما هو عليه من النعمة وحضر الغداء متكونا من أطباق

(*) ضمن مجموعة «مشموم الفل» الدار التونسية للنشر ، ط 2 ، بدون تاريخ ، تقديم : محمد مزالي .

عجين متشابهة المحتوى ، ومعه آلات الاكل المعقدة مما يستعمل فى المدن ،،، فرض عبد الكريم على ضيفه ان يتناول أطعمة معينة وبكميات كثيرة ، وكلما اعتذر أقسم عليه بالطلاق ،،، وفى القيلولة ذهب ليطوف به حقوله وبساتينه ، مستغرقا فى تحاليل معقدة ،،، ثم رجعا لتناول العشاء ، فلم يكن مختلفا عن الغذاء ،،، أصيب ضيف الله بمغص من جراء ما تناول من أطعمة ، فطلب من عبد الكريم ، ان يدله على بيت الراحة ،، فخرج هذا الاخير ساعة ، ثم عاد . وطلب من الضيف ان يؤجل الامر الى غد ، لان « الدار » غسلوا الصوف . والنقرة ،،، مسدودة .

* * *

انطلاقا مما بسطنا فى المقدمة وتحديدا لميدان عملنا نلاحظ أن اهتمامنا ينصب على الاشخاص وأدوارهم الاجتماعية ونمط حياتهم ووجدانهم الاجتماعى ، ثم على العلاقات التى يمثلونها ويرتبطون بها بعضهم ببعض ثم نعرج شيئا على الناحية الذهنية ،،، مستنتجين من ذلك خلاصة أو ما يشبه الحكم العام .

* * *

ان الاشخاص الذين تحدث عنهم البشير خريف تونسيون ،،، نلمس ذلك من قرائن متعددة منها ان المؤلف تونسى وهو أحرى بالحديث عن الثقافة التونسية ،، ثم من اختيار الدلائل : (عبد الكريم ، ضيف الله) ثم من القاموس اللغوى المستعمل وما فيه من المصطلحات التونسية ،، وكذلك من المظاهر الثقافية كالضيافة والكرم ، واعتبار النزل مأوى للغرباء (وفى هذا تحديد مبكر للركح الاجتماعى للقصة) ،،، واذن فنحن ازاء لوحة اجتماعية تونسية يتحرك على ركحها انموذج بشرى تونسى ،،، لكن انتماءهم لبلد واحد لا يعنى تجانسهم فى النوع ، وأول هذا التباين :

الدور الذى يلعبه كل من الشخصين الرئيسيين فى المجتمع :

انطلاقا من قرائن مستفادة من النص نجد أن ضيف الله موظف ، فموقعه الطبقى فى البرجوازية الصغرى المأجورة ، لكن أجرها مرتفع يتيح لها نظاما معيشيا معينا أو هى توظفه كله أو جانبا هاما منه لهذا الغرض .

ويتجلى هذا الموقع الطبقى فى نمط المعيشة التى يحياها النموذج وفى نمط الثقافة التى يعتنقها . فاما نمط المعيشة ، فانه لا تتجلى له من خلال النص طموحات طبقية ، هذا ما يجعلنا نعتقد انه فى قمة ما يطمح له ، ويصرف

ضيف الله بحكم ذلك دخله فى البحث عن اللذة والراحة وابتغاء المتعة وهو موقف عرفت به هذه الطبقة ، بحيث جعلت من غاياتها فى الحياة ان تغتنم ملاذها باشكال متنوعة ونحن نلاحظ عند استقراء التاريخ الغربى ان التحولات السياسية والثقافية الكبرى كانت زعيمتها البرجوازية ، وان المفكرين والفلاسفة الذين طبعوا ما اصطلح عليه بعصر النور و الافكار الكبرى كانوا مثقفين عضويين لهذه الطبقة ، وفى آراء علماء الاجتماع ، وأذكر منهم انطونيو قرامشى أن هذه الطبقة هى المهيأة أكثر من غيرها لايجاد عناصر قيادية للمجتمع ، وفى التاريخ التونسى الحديث كانت البرجوازية سباقة الى اعتناق نمط الحياة الغربية ، وفى آن واحد كانت السباقة الى مناهضة الوجود الاستعمارى ، مستعملة فى ذلك العمال والفلاحين فى حمل السلاح والمجابهة الفعلية للمستعمر بينما اكتفت هى بالقيادة والنضال الفكرى .

أما عبد الكريم فقد كان فقيرا ، فلاحا مأجورا أو خماسا ، فهو من الفلاحين الذين لا يملكون الارض وبنضال فردى استطاع أن يحقق فى حيز طبقته الفلاحية حركتين :

الاولى تمثلت فى كونه انتقل من فلاح مأجور الى فلاح مالك للارض .

الثانية فى الانتقال من سكنى الريف ـ المهد الاصلى للطبقة الفلاحية ـ الى سكنى المدينة : المهد الاصلى للعمال الصناعيين وللبرجوازيين كذلك .

فالحركة الاولى هادفة الى ترفيع الدخل الفردى الذى يتيح حياة مترفهة ، الحركة الثانية هى محاولة اندماج فى البرجوازية عن طريق مشاركتهم السكن والتباس نموذج معيشتهم فى المأكل خاصة « وهى الناحية التى يركز عليها النص » ثم فى الملبس بصفة عرضية « ملابس الزوجة » .

لكن هذه الحركة الهادفة الى الصعود فى السلم الاجتماعى اعترضتها عوائق عديدة منها :

الرواسب الطبقية لعبد الكريم :

من الطبيعى أن تختلف الثقافة (بالمعنى الواسع للكلمة) من طبقة الى أخرى ، فقد تميزت حياة الفلاحين عندنا بالبساطة فى العيش والوسائل واللباس والنوم والاكل ،،، فيتكون طعامهم عامة من طبق واحد ويتميز بقلة التنوع وبساطة الاعداد ، الا ان عبد الكريم قد أعد أنماطا من الطعام متشابهة المحتوى كالمقرونة والحلالم والكسكسى والعصيدة وهى اطباق ريفية ،،، قدمها بدون نظام ،،، وذلك انه بحكم انتمائه لا يملك صورة واضحة عما تقدمه

العائلة البرجوازية فى مثل هذه الحالة ، وتتجلى فى ذلك رواسبه الطبقية التى تشده مرغما الى مصدره الاصلى ،،، وان عانى عبد الكريم اضطرابا شديدا فى تصوراته عنمحتوى الطعام الذى يليق بضيفه البرجوازى فانه كان شديد الوضوح فى الالتزام بحدود اخلاق طبقته ،،، والمعروف تاريخيا وتحليليا ان الطبقات الاجتماعية الدنيا هى أكثر الطبقات تعلقا بالمتصور الدينى،،، فالاخلاق المستمدة من الدين تبقيه فى موقعه كفلاح تمنعه رواسبه من الاندماج فى الطبقة الاجتماعية العليا .

ولئن أوضح تحليلنا المصدر والموقع الطبقيين لعبد الكريم ، فان موقفه الطبقى قد فشل تماما لعاملين اثنين :

أولهما انغلاق البرجوازية على نفسها والمغالاة فى « مهرها » بحيث تفرض تغيرا عميقا فى العقلية قد يستغرق أكثر من جيل ، ونمطا معيشيا معقدا وباهظ الثمن يعجز عنه الفلاحون فيبقون فى بوتقتهم ، وتحافظ هى على امتيازها وقيادتها للمجتمع مختارة بذلك من الفلاحين من تتوسم فيهم القدرة على الاندماج وخدمة مصالحها .

وثانيهما المناعة الذاتية التى تبذلها الطبقة الفلاحية للمحافظة على ذاتيتها فهى شبيهة ببقرة تحتلب ولا تنتفع بحليبها وكثيرا ما تستوعب الدولة مثقفين من أصل فلاحى لصالحها دون ان يكون لهؤلاء دور فى تحسين معيشة الفلاحين .

ونجد للمؤلف انتماء اجتماعيا حريا بالدرس فهو من أصل فلاحى ثم استوعبته البرجوازية الصغرى فى العاصمة حيث هجر الجريد وأصبح مدرسا ثم مارس الكتابة ، وهو ان كتب عن القرية وحياة الفلاحين فان هذه القصة يمكن ان تبين موقفين :

اما انه يتبنى موقف ضيف الله ويدفع بسخريته اللاذعة ما ينال البرجوازيه من ازعاج الفلاحين المتطفلين .

واما انه كفلاح يعيب على أمثاله التنكر لانتمائهم والتطفل على ثقافة ليست ثقافتهم بحيث يصبحون محل سخرية وهو يصدر حكما شبه نهائى على هذا التمازج والتقارب بين طبقتين شهد لهما التاريخ باستمرار العدائية بينهما فتجعل المنفذ بينهما ضيقا وهذا المنفذ مسدود اصلا وذلك من عنونة القصة « النقرة مسدودة » .

فالنقرة المسدودة هى فى الحقيقة رمز الى المنفذ الضيق المسدود بين الطبقات الاجتماعية ، واشارة الى اختلال التكافل الاجتماعى .

عبد المجيد النفـزي

اِسْتِمْرَارِيَّة

شعر: مشهور فواز
(مصر)

ومازلت أبحر فى المنحنـــى ،
والمسافات تنهض فى أضلعى ،
الآن أملك أن أشتهيـــك ،
استريحـــي على الجـــرح ،
جرحي يغنّي الـدروب الفقيرة ،
جرحي يغنّيك فى امسيات التراشق
بالعشق بين الصّحـــاب ،
استـــريحي على الجـــرح ،
هزّي النخيـل المزين بالـدم ،
يُسقـطْ لهيب الـولادة ..
شـــدّي اليك الأحبـــة ،
هم يملـكون يحطّـون فوق جبينك ،
تاج المخاض المضمّخ بالخصب ،
إنّي النبيّ الذي يستقي من ثراك
الرّسـالةَ ،
إنّي المهاجر صوب البيوت التي
علقت وجنتيك عـلى بـابهـا ،
واتّقت باحتوائك نـار الافـول .
تعشقت وجهي ،
طرحت على عري محبوبتي العشق
ثـوبـاً ،
تخيرت أرجوحتي من زفير التلظّي
بأوجاعها ،
صار صوتي الجواد المسافر صوب الاجنة،
صرت المـزمّل بـالوعـد ،
يقطعنـي العشـــق ،
أمـرق بين الرمـــال ،
أنا الآن أحمل أرجوزة الحمـل ،
وجهـــي اصطفـاك المـلامحَ .

★ ★ ★

هيّا اخـرجي الآن ،
إنّي كتبتك فى سـورة « الحمل » ،

تضطجعين على الجرح ،
ليس الوليد سوى السيف ،
يبرق بين الدماء ،
يشيّد مملكة العشق ،
إنّ الدماء ... ارتدى الحلم ،
زيّن أعضاءه باخضرار المدى ،
انّني الآن أشدو بأرجوزة النار ،
أحملها بين جنبيّ ،
تحملني سلسبيل الطهارة ،
يغتسل الناس فيه قبيل صلاة الوصول.

★ ★ ★

تشهيّت أوردة ،
مدّ فيها الثرى أفرعاً للخصوبة ،
إني تشهيّت أردية الطمي ،
فيها أجيء أعمّد ثرثرة الخوف ،
تسكن شوك الاسرّة ،
إنّي تعشقت ساقيّ ،
لا تجزعي ، الدرب مازال دربي ،
وكفيّ تملك ترويض أرصفة الجمر ،
إنّي المسافر صوب البكارات ،
لا تجزعي ، فالجنون الذي
يعتريني مازال نفس الجنون .
تعشّقت فيك المخاض ،
وأدمنت قافيتي ،
ثمّ أسلمت وجدي إلى النار ،
إنّ اللهيب هو اللون ،
والشعر مازال يشعل فيّ الصهيل .

★ ★ ★

يحدثني الجمر أنّي سأبتدئ الآن
أرجوزة الانتصار ،
وأنفذ ،
أدمغ زاوية الانحسار ،
فيطلع وجهك ،
يلبس أهداب طفل ،
تعلّم في المهد طقس الاقامة في الرعد
قارب بين البراءة والخيل ،
دسّته أحلامه في لظى النّهر ،
حين اصطفاه اللهيب ،
فخضّ التمرّد للنهر والجائعين ،
وكوّم أحلامهم فوق سيف ،
هو الآن يبتدئ النصر ،
يكتب شارته :
« ليس بيني وبين المدى غير هذا
اللّهيب » ،
هل الطفل غيري الذي يبدأ الآن
أرجوزة الإنتصار ؟
ويزهو بزيّ المريدين ،
يزهو بزيّ الحلول .

مشهور فواز
(مصر)

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

تبا لآداب اللياقة والظرف والكياسة ، ولكل مظاهر التهذيب والأناقة اذا كان كل ذلك ، باسم الذوق والفن وبدعوى الرقي والحضارة ، يفرق المرء وأخيه ، ويثير النفرة والعداوة والبغضاء بين جماعة وأخرى ! لهي مجرد قشر أو طلاء ، مهما عز وشرف ، وراق وأبهج ، فلن يساوى أبدا صدق القلوب وجمال النفوس وصفاء العقول ، وتلك لم تكن يوما وقفا على فئة دون غيرها ، ولا حكرا على بشرية دون أخرى ؛ ولعلها أوفى وأشيع عند من نسميهم ظلما بالغلظة والجفاء ، والخشونة والعنجهية ، والجهل والتأخر .

***

أسفى عليك شجيرة الليمون ! واها لشبابك الغض ! جدت بالزهر جهدك دون الورق والأغصان . بذلت نسغك بلا حساب عشقا للنسل ، أم رؤوم قبل الأوان ملء قلبك العطف والحنان حتى رضيت بالموت انتحارا .

***

حارب اليأس والتشاؤم فى عالم الشر والفناء وهذا بالأمل المجنون .. بالأمل الصامد العنيد لا يركع ولا ينحنى ، يتطاول شامخا رغم المخاطر والأهوال ، وتألب قوى الشر جميعا على الانسان ، تشبثا بالانسان الذى فيك وايمانا .. تحديا واعتزازا

***

لم تزل المآذن تجلجل بذكر الله صباح مساء أكثر من عشرة قرون : الله أكبر ! كلمة جليلة فخمة بل حقيقة غامرة قاهرة يرتج

لها الفضاء وتفغم بها أقطار السماء . لم تزل أفواهنا وأقلامنا ترددها منذ السنين فى مقام وغير مقام آناء الليل وأطراف النهار ، فهل عظمناه حقا ، ووفيناه ما هو أهل له توقيرا وإجلالا يسمو بنا وتسمو به نفوسنا رحمة ومودة .. سلاما ووئاما ؟

***

أيهما أسمج وأرذل أن يتكرم المرء ويجود طمعا ورهبة ، أو رياء.. تبجحا مضمرا بالنعمة واختيالا .. ضربا من التطاول والاستعلاء فى أدب وكياسة !؟

***

أن تكون قد تركت بعدك شيئا ما .. قيما أو أفكارا.. قيما شريفة أو أفكار حية ، ذكرا حسنا يستضىء به الناس قوتا للارواح حينا من الدهر ، أو حتى شجيرات واعدة نضرة وصلاحا ، أو كتبا زادا لاخوانك فى البشرية ، فانك اذن لم تعش سدى ، ولم تخلق عبثا ، وكنت انسانا بحق !

***

الفضاء اللانهائى « ظل » الله تعالى المنبسط على الكون .

***

اثنتان تسرفان فى الزينة والطيب : البغي والمرأة الشوهاء ، مغالبة للطبيعة، وتحديا للذوق بباطل الاغراء حتى يعاف منهما ذلك ويجتوى، ويزهد المرء فى كل طيب ، وينقبض من كل زينة .

***

لولا الحب (وكذا الصداقة) لكان الناس أسخف الخلق عند أنفسهم ولما احتمل بعضهم بعضا ، ولا احتماوا أنفسهم أصلا .

البشير المجدوب

سكتنا فهل غرد العنكبوت

شعر: الصادق شرف
(أبو وجدان)

وَمَا أفْصَحَ الصَمْتَ حِينَ يُغَرِّدُ فيه السكُوتُ !
هُوَ الصمْتُ بَيتٌ لَنَا الأمْنُ فيه يشجِّرنا بالأمانِي ..
وبالأمنياتِ تَخِرّ لريحِ الخريفِ البيوتُ
عَشقْنَاكَ يَا أيها الشّجَرُ - الطفلُ .. كِدْنَا
مِنَ العشقِ جيلا نَمُوتُ ..
فَهَلْ يَتْرُكُ العِشْقُ فِينَا انْتِمَاءً لِغَيْرِكَ .. ؟
لا غَيْرُكَ اليَومَ ينمو به الانتِمَاءْ ..
تَمَلّكَنَا العِشْقُ للشّجَرِ الصّاعِدِ ، البَعْضُ مِنّا
تَكَلّمَ بِاسْمِه ، وَالبَعْضُ مَازَالَ
بِاسْمِهِ يَرْكَعُ للانتفاء ..
سَكَتْنَا وظلَّ النهارُ يطوقنَا بالزّجَاجْ
لِمَاذَا الظّلامُ أضاء سِرَاجا ؟
وَجَاءَ النّهَارُ فَأطْفَأَ ضَوْءَ السِّرَاجْ ؟
فَكُنْ أيُّهَا الحُبّ لَيْلا يُضِيءُ سِرَاجا لنَا ..
تَغَيّرَ كُلّ الّذِين تَرَكْنَاهُمُ فِي المَسَار
ولَمّا نُغَيِّرْ مَعَ السَّيْرِ تركة أحْوَالِنَا ..
يُسَطّحُ أعْمَاقَنَا المُدلَهِمّةَ بَابْ

تَلَفَّتَ للاسْتِلابْ
تَسَرَّبَ فِينَا التَّغَرُّبُ حِينًا ..
هُوَ الحِينُ بَاتَ يُطَاوِلُ فِي الصَّمْتِ أَحْيَانَنا
" دَقِيقَةَ صَمْتٍ " طَلَبْنَا ..
فَطَالَبْنَا الصَّمْتُ بالإنفجَارْ ..
تَعَمْلَقَ فِينَا الّذي جَدَّعَ الأنفَ ،كَانَ قَصِيرًا ..
وَطَالَ عَلَيْنَا انْتِصَارُهُ حَتَّى غدَوْنَا القصارا ..
فما أَقْصَرَ الفعل حِينَ يدَمْدِمُ فِي ساحة الإشْتِبَاهْ .!
وينشف فِي سَاحَةِ الإخْتِيَارْ .. !
وَيَنْتَظِرُ القَدْرَ يَغْلِي ..
بِأَحْجَارِنَا النَّارُ صَارَتْ رَمَادا ..
وَنَامَ الصِّغَارْ ..
وَهَا عُمَرُ - اللّيلَ - يُقْبِلُ .. يَحْمِلُ ..
كِيسَ الدَّقِيقْ
وَيُوقِدُ نَارًا
وَمِنْ مُقْلَتَيْه يُطِلَّ النَّهَارْ .
وَيَنْفُخُ فِي الموقِدِ العَاطِلِ
وَيُطْعِمُ زُغْبَ الحَوَاصِلِ ،
يَا عُمَرُ - الغيثُ مِنْ طَعْنَةِ الغَدْرِ هَلْ عُدْتَ للانشِطَارْ..
أَلاَ ادْخُلْ فَثَوْبُكَ أَبْيَضُ خَالجَهُ الجُلَّنارْ ..
أَلاَ ادْخُلْ فَنَعْلُكَ مَا زال يصهلَ فَوْقَ الجيَادْ ..
فَهَلْ نَنْتَقِي عَنْكَ سَاعَةَ حُزْنٍ ؟
وَكَمْ نستتبّ لقتلك فَجْرا يُغَلِّفُنَا بِالسَّوادْ !
حَمَلْنَاكَ جُرْحا .. حزينا

عَلى ظَهْرِ تَارِيخنَا
أَيُّهَا الرَّجُلُ القَادِمُ الآنَ مِنْ حَيْثُ تَخْرُجُ مِنَّا طَعِينَا ..
وَمازلتَ تَحْمِلُنَا ، أنت تحملنا
فَوْقَ أَمْوَاجِ بَحْرِكَ رُبَّـان مُسْتَقْبَلٍ
للذي لَوْ يَجِيءُ يَقُودُ السَّفِينَا ..
بِمَينَاءِ هذي الشَّوَاطِيء نَحْلُمُ أَنَّكَ تُرْسِي
وَمَا زِلْتَ تُبْحِرُ ضِدَّ الرُّجُوعِ ، وفينا
مِنَ الضِّدِّ تَنْقُفُ ، يَنْفَلِقُ القِشْرُ
يَبْتَدِىءُ الحَشْرُ .
أنتَ المضافُ الجَديد لسرب السَّلام
وأنْتَ جَنَاح يَشُدُّهُ قَيْدٌ !
وَكَمْ مِنْ قُيُود تَكُونُ هِيَ السُّلَّمُ السَّهْلُ للالتِحَامْ . !
وَهل يَسْلَمُ القَيْدُ ؟
مَهْمَا تَصَامَدَ يَنْقُفُ مِنْهُ الصِّدَامْ ..
تَخللنا السلخ حين انفصَمْنَا
وَهَلْ تَدْخُلُ المدينَةُ الجِسْمَ
مَا لَمْ تُسَافِرْ بمنطقة الإنْقِسَامْ ؟
مَنَاطِقُ فِيهَا انقَسَمْنَا !
وَفيهَا عَلى القِسْمَةِ المُشْتَهَاةِ مِنَ الأرضِ نَحْنُ اخْتَصمْنَا ..
هِيَ الأَرْضُ حين تَشَهَّتْ
ـ كَمَا تَشْتَهِي المَرْأَةُ البَعْلَ ـ
أن يَقْسِمَ الشَّعْبُ ظَهْرَ الخلاف وفي الإلتِفَافِ اخْتَلَفْنَا ..
وَمَا خَلَّفَ الإخْتِلافُ سِوَانَا
عَلى كَتِفِ الإنْجِرافْ ..

هُوَ الْخلف يَخْطِفُ مِنّا الزمانَ – المَكَانْ
وَلاَ حَرْبَ لَوْلاَ الْخلاَفَهْ ..
وَحَيْثُ الْخلافَةُ قَدْ دَاهَمَتنَا
جُنُودُ التَّتَارِ تقَمّطُنَا فِي المُضَافْ
وَنَعْشَقُ تِلكَ الإضَافَهْ ..
عَلَيٍّ يَشُقُّ بِصَمْصَامِه «رَأسغُول» الخرافَهْ !
فَنَرْتَاحُ فِي الشَّقّ نلتف فيه، اللُّفَافَةُ كهفٌ جديدْ
هُوَ الكهْفُ يَلفظُ أهْلَهُ مِنْ غَيْرِنَا
وَنَبْسُطُ أَذْرُعَنَا بِالْوَصِيدْ !
وَنَنْتَظِرُ الْبَابَ يُفْتَحُ .. يَا للسّخَافَهْ !
سَكَتْنَا .. وَكَمْ غَرّدَ الْعَنْكَبُوتُ .. !
على مدخَلِ الكهفِ كِدْنَا نَمُوتُ
سَكَتْنَا .. وَمَا سَكَتَ الْعَنْدَلِيبُ . العنادل ظلت
تُرَدّد :
– تَارِيخُنَا سيظل انتهاء – معَ القول – ريحا
معَ الْفِعْلِ يصبحُ بَدْءا صَحيحَا
يُصفّقُ – إذْذَاكَ – فِي قَحْلِنَا الجَدْوَلُ ..
تَصِيرُ عِظَامُ الْقَتِيلِ
بِسَاقِ الدّخِيلِ التُّرَابَ الّذي يَقْتُلُ ..

الصادق شرف

نصفك الثاني

قصة : الصادق الوكيل

ـ مالك تتنهد يا سيدى ؟! مالك تطلق الزفرات تلو الزفرات هون عليك .

ـ ضاقت بى الحال يا فاطمة ، أصبحت مثل ذلك الكلب .

ـ كلب ! بعيد الشر عنك يا سيدى وأى كلب ؟! .

ـ نعم اسمعينى وستفهمين ؛ شاهدوا الكلب يوما يلهث ، والطقس معتدل ، سألوه أجابهم : من قائلة الغد خائف ، وأنا فى كل يوم وليلة ، أكون طفلا وشيخا وكهلا ، أبكى حاضرى الضحل ، وأخاف من الشيخ وفراغه المقيت ، وأحلم بالطفل السعيد .

كانت تتنصت اليه وعيناه معلقتان عليها ، والشوق الحارق يجذبه نحوها ، وقلبه يهمس ويرتجف ؛ نحن ندفن الحقيقة بأنفسنا ، يجب أن نعرى الحقيقة والافكار الجميلة ، علينا أن ننتصر على زيف المجتمع .. وتعسف التقاليد والخوف من الناس والالسن ، والعادات التى كبلتنى ، عمرى مغبون ، وذكرى مغمور ، كلب منسى أمام اخوتى وكل الناس ، سأنفض غبار الصمت عنى ، سأخرج من ذاتى وقوقعتى الصغيرة .

قالت فاطمة فى صوت مرتجف مكبوت ، وقد أشاحت عنه وجها صبوحا .

ـ تزوج يا سيدى ، وستنجب طفلا جميلا يخرجك من عزلتك ووحدتك وخوفك .

ـ لا .. أنت لا تفهمين ، اقصد أنـي أحلم بطفولتـي العذبـة بذكرياتهـا الجميلة ، بأيامي السعيدة ، بخلو البال ، بالبراءة والعفوية والصفاء ٠

ـ آه .. واحسرتاه ، انتهى ذلك الزمان ، لا تحزن على ما فات ٠

ـ هكذا يـا فاطمـــة !

فاطمة تتحول من بيت الى بيـت ، ومن ركن الـى ركن تمسح البـلاط ، تنفض الغبار ، تنظـف الاثاث والتحـف ، تصعد السلم تمسـح الثريـات ، والمصابيح واللوحات ، تنتقل أمامه ، تتحرك تنحنـي ، تتوقـف . تصعـد وتنزل ، ترفع يديها ، تخفضهمـا ؛ خفيفة ، رشيقة ، رياضيـة لا تقول آه . تمر أمامه وهو متقوقع في اريكته الخاصة به ، ينظر فـي كتـاب ، أو يقـرأ جريدة ، أو يخط في ورقة . يعبث مرة بنظاراته السميكة ومرة أخرى بغليونه الذي لا ينطفيء ، هكذا تمر الايام والشهور وفاطمة تنظف حواليـه ، أمامه ، خلفه ، حـذوه وتحتـه .

فاطمة تمسح المرآة ، تصقلها ، المرآة تسقط ، تتحول الى شظايا ، ورنين لكنه مزعج ، ارتجفت اعصابه وصاح :

ـ ما هذا يا فاطمة ، ؟! .

ـ العفو يا سيدي ، لم اكن أقصد . لم انتبـه !

ـ رزيتني في المرآة .. صديقتي وأنيستي في وحدتي ! ٠

ـ سأعوضها لك ٠ سأشتري لك مرآة أخرى ٠ غدا سآتيك بمرآة اخرى جديدة .. وأجمل من الاولى ٠

ـ لا ٠٠ لا أريد اهدئي ٠٠ لا عليك ٠٠ اهدئي فقط .

ـ صديقتك المرآة يا سيدي ؟! .

ـ نعم وما العجب في ذلك ؟ كل ليلة كل مساء أدخل البيـت بعد العشاء ، أنظر في المرآة أسألها من أنا ؟ تجيبني : من أنت ؟ لا شـيء لا زوجة لا أبناء أقول لها ؛ حريتي حركيتي علاقاتي ، تعجبني حياتي هكذا . تجيبنـي المرآة لا . ابتسم لها ساخرا بها ؛ كيف لا وذاك صديقـي متبرم بحياته ، بزواجه ، بهما معا . تقول لي المرآة ؛ ذاك هراء كذب وافتراء . أخـاف عليـك الكبـر

والفراغ ، والوحدة والبلاء ، أخاف عليك يا صديقي أن تعود الى كل مساء ، فنكبو على المنضدة سواء .

تلك قصتي مع المرآة يا فاطمة فمن سأحادث الليلة من ؟ يا طول ليلي ويا أرقي .

ـ صديقتك تقول الحق وعين الصواب !.

ـ هكذا يا فاطمة ! .

ذات صباح ، كان يلوك الضياع والملل والفراغ ، وينفث ذكرياته مع دخان غليونه ، ويتصبر بالقراءة ، وقلبه يوسوس له بأفكار غريبة . وهاجس يقصف في قلبه نور الحب والخير والجمال ، يقول له : تجده أينما كان .. لعلك لا تلقاه بعد يومك هذا في مكانك هذا ٠٠ في وضعك هذا ٠٠ يهمس له ؛ أنت تعيش لنفسك ، ماذا قدم لك الآخرون ؟! فاختر لنفسك ٠٠ واختر بنفسك ٠٠ فالنفس واحدة ٠٠ والجسد واحد ٠٠ لا تمانع ٠٠ لا تمانع ٠٠ انظر حواليك تلق الحل قريبا منك ٠٠ عيونكما يرنو الى بعضها البعض والاكف يمتد الى بعضها البعض ٠٠

كانت فاطمة ترقص أمامه ، تطوح بكلتا يديها ، تتلوى تطول وتقصر . وتركع وتسجد ، تؤدي واجبها ٠٠ والطيف الجميل الخانس فيه يوشوش له ٠٠ يزين له ٠٠ يغريه ٠٠ يخفي وجيب قلبه :٠٠ عذراء كاملة كالملاك ٠٠ صوتها ٠٠ لين دافيء ٠٠ أريجها المتضرع .. خصلات شعرها .. جسدها ٠٠ نهداها ٠ وجهها الفاتن الريان وعطفها ، حنانها ، صدرها الفسيح الصافي ٠٠ تعرفها من زمان ٠٠ تعرف أمها ٠٠ أباها ، فماذا ترتقب ..؟ ماذا ترتقب ؟ حتى ينتهي العمر فما أقصر العمر ! قال : أعرف أعرف ، ولكن كيف أبدأ ؟! تكلم تكلم . ماذا أقول ٠٠ وماذا أفعل ؟! ؟! ران في الغرفة صمت ثقيل ، وفاطمة تمسح وتنظف وتفك وتركب ، وتجدد وتبرق . بقي يتنصت لصدى روحه العطشى ، شفتاه قاجلتان .. أصابعه متوترة ، وشوقه حارق وعقله يحترق ٠٠ وقلبه ينبض ، يدق ، يرتجف ، ولسانه يكاد ينطق، يبوح بالسر الذى كتمه شهورا طوالا ، غمغم :

ـ يا فاطمة .

ـ نعم يا سيدى ٠٠ يا سيدى تريد قهوة ؟

ـ يا فاطمـــة .

ـ سآتيك بقهوة • سأغسل وأنظف غليونك لتزيل القلق •

ـ يا فاطمة ، يا من تنظفين متاع البيت ، وأثاث وتحف البيت ، وتمرين على بسلام .. اعتبرينـى تحفة مغبرة ، أثاثا قديما فادخلي أداتك فى ، فـى أذنى وأزيلى منهما الصمغ السداد ، علنى أسمع أكثر ، مررى يديك أصابعك ، أدواتك ، آلاتك على ، نحـى الغبار عنـى جدديني ، طهرينـى بعثرينـى ، فككيني ادهنيني ، زيتيني ، برقشيني لقد سئمت الصدأ . يـا من تغسلين الثريات والقناديل والمصابيح ، طهرى قلبى من السويداء التى طمست عقلى اغسلى عينى وأزيلى عنهمـا الظلام القاتل . أزيلى من شعيباتي وحويصلاتـى الثكتين الاسود ، خليني أملأ صدرى هـواء نقيا عليـلا ، نظفى منـاخيـرى أظافرى ، شعرى ، رأسى ، احسبيني قطعة أثاث ولا تمرى علـى بسلام .. لا تمرى على بسلام ، هيا يا فاطمة ادنى منى ، ولا تحاولى الكلام •

ـ كيف يا سيدى كيف ؟!.

ـ لا تقولي لى كيف . اسرعى نظفيني طهريني .

ـ يا سيدى يا سيدى !

ـ هيا قلت لك فككيني ، مزقيني ، نظفيني ، فأنا لست أفضل من الاثاث جدديني الفيني انسانا جديدا .

ـ لا أدرى يا سيدى لا أدرى ! .

ـ هيـــا .

ـ أخـاف عليـك ! .

ـ يا فاطمة •• يا فاطمة •• افهمينـى •• هيا لا تخافـــى . دنـت منه مرتبكة مرتعدة . متعجبة من تصرفات سيدها ؛ يظهر أن لوثة عقلية سكنـت عقله هذه الايام •• منذ تكسـرت المرآة أصبـح سيدى كالمجنون ، كلامـه غريب وحديثه صعب ، وسلوكه مريب وتصرفاته مخيفة هذه الكتب اخرجته من عقله ! ماذا أفعل يا رب ماذا أفعل !؟.

ـ ماذا تقولين يا فاطمة ؟ انى لا اسمعك . هيا اقتربى اقتربى اكثر •• مالك ترددين ؟!.

ـ لن افعـــل !.

ـ لا بد أن تفعلي ٠٠٠ أترجاك أتوسل اليك ٠

ـ حسن حسن ، سأطيب خاطرك ٠

اقتربت منه فاطمة والخوف يسكن قلبها ، لمست شعره بيدين مرتعشتين لامس الجسد منها الجسد ، أمسكت رأسه بعثرت شعره ، فركتـه ، انقطع الرأس بين يديها ! ادخلت فيه أصابعها . فرشاتها ، أدواتها ، فكت أعضاءه ، يديه مرفقيه ، رجليه ، مفاصله اليابسة ، فتحت صدره ، قلبه مـا أصغره ! رئتان ما أسودهما ! كبده اليابس الجاف أحشاءه خضراء . كدس مـن اللحم والعظم ، نظفت مسحت طهرت ، خللت شللت ، نظفته ، ركبتـه من جديد . سمعت حفيفا يحلق حول رأسها ، حشرجة صوتـه المبحوح يتردد صداهـا في اركان البيت :

ـ ركبيني يا فاطمة ، جدديـني أعيديـني كما كنت أو أحسن ممـا كنت يا فاطمـــة .

قالت بنبرات متقطعة :

ـ لقد أتممت يا سيدي !.

ـ كيف !.

ـ كيف ؟! اني لا أستطيع الحراك . الا ترين جسدي الهامد ؟.

ـ لقد ركبتك كلك .

ـ هيا يا فاطمة ، أتمي عملـك ٠ أريـد أن أنهـض أن أمشي أن أحلـق بجناحين ، أشعر وأني أخف من الماضـي ، صافي العقل .. طاهر القلـب ، نقي الرئتين .. جديد جديد !

ـ ماذا أفعـل يا سيدي ..؟! حسبك ! لقد ارهقتني وأزعجتني وهدمـت كياني ، تحرك يا سيدي . انهض انهض وخلصني من هذا المأزق .

ـ لا استطيع ، افعلي ما شئت يا فاطمـــة .

ـ كيف يا سيدي ، ينقصك نصفك الثاني !.

ـ نصفي الثاني ؟!.

ـ ألا تعرف يا سيدى ؟!.

ـ رجـلاي .

ـ لا.

ـ رأســـــى .

ـ لا .

ـ ماذا اذن ؟ تصرفـــــــى .

ـ امرأة يا سيدى ! امرأة والا تبقى جثة هامدة . لم تحسب حسابا لذلك سوف تبقى بلا حراك ، ربما تموت يا سيدى انـى خائفـة .. أنا السبـب أنا السبـــب .

ـ لا تخافى فان مت يا فاطمة فلك البيت والاثاث والاموال هاتـى ورقـة وقلما ، سأكتب لك الوصية .

ـ لا .. لا ياسيدى .

ـ لم لا ؟ اسرعـى ، روحـى معلقة فى الفضاء مرة تدخـل جسدى ومـرة تنسلخ عنه ، فانا بين الموت والحياة هاتى ورقة .

ـ هل أذهب لاخبر زميلتك فهى قريبة منا ، دعنى آتيك بها .

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ طلقت كـل النساء ، خدعتنى زميلتى ، فضلت علـى ذلك الغير ، بكلامه المعسول ، وأموالـه الطائلة وجهله الفادح ، تركتنـى صديقة العمر وحيدا لفقرى ، وهـل أنـا فقيـر ؟! هـربت من جـارتى المتكبـرة ٠ احتقرتنى ، اعتبرتنى متخلفا جامدا ، وغيرها وغيرها ، واحدة منهن عقدتنى حتى كرهت الحياة والعباد . لا تخافـى لن يموت الانسان بلا نصفه الثانـى لـن يمـوت .

ـ ها أنك لم تحى بعد . خوفى عليك يا سيدى .

ـ الروح منـى لا تريـد أن تثبت فـى الجسـد ، لا ادرى لمـاذا لاأدرى تهمس لى ؛ نصفـك الثانـى نصفك الثانـى . أين أجده نصفى الثانى ، اين أجده وأنا فى هذا الوضع وعلى هذه الحالة ٠

ـ ياويلى .. يا ويلى ! ورطتنى يا سيدى .

ـ لا تبكى يا فاطمة ، كففى دموعك وابشرى ادنى منى اقتربى أكثر .

ـ لا ٠٠ يا سيدى لا يعقل ٠٠ لا يعقل ؟٠

ـ لا تخافى اقتربـــــى .

ـ لا !.

ـ انقذينى يا فاطمة أنت نصفى الثانى .

ـ لا !.

ـ لماذا ؟ انا اخترتك أنت . نعم أنت .

ـ كيف يا سيدى هل يعقل .. أنا الخادمة !٠

ـ نعم روحى تعلقت بروحك، ألم تشعرى بذلك؟ تعودت عليك ، خبرتك، عرفتك ، فهمتك أنت التى تصلحين بى هيا اقتربى .

ـ أخـــــاف !.

ـ أعدك وعدا صادقا سوف تكونين زوجتـــى ٠

ـ كيف يا سيدى هذا غير ممكن غير معقول ..

ـ أنا لا يهمنى ٠٠ وأنت تعرفين ٠٠ أنـت أفضل منهن ماذا ينقصـك ٠ جميلة ٠٠ مهذبة ٠٠ بنت اصول ٠ هيا يا فاطمة فجرى فى الحياة لا تمانعى، بثى فى الوجد والصبابة والاشـراق ، التقطى أنفاسى الضائعـة .. اجمعـى شتاتى وتناثرى هدئى من شعلة نفسى المتوقدة ، انظرى قلبى الخافق تجدى حبى الصادق المتوهج . فتشى فى رئتى تلقى لهفى المتوقد الجامح ، كنـت خائفا من الناس واهلى والعادات ، واليوم أنفض عنى غبار الصمت ، كرهـت الوعود ، مللت الحياة ، تعبت مـن القاسين ، كل يوم أتوزع فـى الشوارع ، والحانات وعلى أصحاب السوء أصحاب المقاهى ، ولكنى أخيرا فكرت فيـك أنت فقط ، صدقينى يا فاطمـة ، صدقينى الآن علـى الاقل ، فروحـى الآن صافية هادئة لا تهاب أحدا ، هاتى ورقة وقلما يا فاطمة أخط لك فيها التزاما بامضائـــى .

ـ هذا كلام الخوف وحديث الاغراء !.

ـ هكذا يا فاطمة . واخسارتي فيك ، وواحسرتي على نفسي لو مت يا فاطمة ماذا يكون مصيرك ؟ انك ترفضينني ولا تقبلينني ، انك خائفة مم تخافين يا فاطمة ؟ الوقت يمر وجسدي جثة هامدة ، قد تبرد حين يجمد دمها . فلا تسرى الروح فيها . وأنت تنظرين صامتة واجمة ويلى على نفسي ويلي ، ويا لهفي على روحي ! لو سكن جسدي الى الابد ، سوف تبقى روحي الحرى تتبعك ، نعم تطاردك ، تزعجك ، في نومك ويقظتك . أظنك لا ترضين بذلك . هيا اسرعي اسرعي يا فاطمة . ابحثي عن زميلتي ايتني بها الى اسرعي قبل فوات الاوان .

ـ لا .. لا ..!

ـ أنت تقتلينني !

اقتربت فاطمة من الجسد الهامد ، دنت اكثر والخوف يهدها ، والوجل يقتلها ، لمسته ، كان صوته يتناهى اليها أنت حلوة مغرية جذابة ، للمي جسدي المتلاشي المتناثر احرقي دمي وخلاياي اشعلي في لهيب الحياة . التصقت به حتى التحمت جسدا واحدا ، سرت الحرارة فيه . تحركت أعضاؤه ، سكن صوته الاجش ، غمر البيت سكون لذيذ لذيذ . مال عليها ، لفها ، طوقها ، جرى الدم ساخنا في العروق والاطراف . قطف قبلة من شفتيها النديتين المخضلتين لامس خصلات شعرها . نبض قلبه ، امتلأت رئتاه شذى عطرا خفق جسمه وارتعد ، تأوه بالزفرات ، دار الدم ولف من أعلى الرأس الى أخمص القدمين ، فارتعد رعدة قوية . حتى تشبثت الروح منه وفيه ، وتغلغلت ، وتمسكت وتوازنت وتفرعت . تفتحت عيناه المخضرتان نز العرق وطفح على الجسد الساخن المرتجف ، فتح فاه ، والتقط أنفاسه التي كانت معلقة تحوم وتحلق فوق هامته الجوفاء نطق :

ـ فاطمة .. فاطمة .. فاطمة ..

لكنها لم تنبس ببنت شفة ..

أوت 1985
الصادق الوكيل

صُوفيّة ..

شعر: رياض المرزوقي

عانقتُ القاتلَ حين نوى قتلي
باركتُ الخنجر ، ربَّتُّ على النصل
أهلي لاموني ، شكّوا في عقلي

* * *

دربي أضناني ، قلبي في نعلي
فكأنّ الدنيا تسعى في رجلي
صهرتني آلامي ، بعضي في كلّي

* * *

حظي من عيشي ، قولٌ في قول
كوني يُضنيني ، أخشى من ظلّي
من كانوا عشقوا ، ماتوا من قبلي

رياض المرزوقي

قراءة في "نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى" للبشير بن سلامة

بقلم : الحبيب الدعماني

ما زال النقد الحديث فى حاجة الى الاعتناء بالدراسات اللغوية رغم محاولات الاسلوبيين الغربيين منهم والعرب . وافتقار المكتبة العربية لمثل هذا النوع من الكتابات دفع بالكثير الى التاليف فى اللغويات واللسانيات فظهرت كتابات حاولت أن تخلق وتوطد دعائم ما يسمى بـ «اللسانيات العربية» ايمانا من هؤلاء بان اللسانيات هى أم الدراسات اللغوية والنقدية الاسلوبية . أما هذا الكتاب الذى نتناوله اليوم بالدراسة (1) فهو محاولة ككل المحاولات العديدة التى تناولت اللغة بالدرس . ولكن الطريف فى كتاب «نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى» للاستاذ البشير بن سلامة أنه تناول اللغة العربية من حيث علاقتها بالعامية واعتبر أن العلاقة يجب أن تكون علاقة تطعيم واثراء لا علاقة بديل وحلول ... ونحن نقف حيارى أمام تحديد الجنس الادبى لهذا الكتاب ، فهل هو كتاب نقدى أم هو دراسة لغوية أم بحث لسانى أسلوبى ؟.. والحقيقة أن الكتاب يجمع من هذا ومن ذاك لانه مجموعة فصول ربما اختلف زمان كتابتها ولكنها فصول مرتبطة ارتباطا تكامليا مما سهل جمعها فى مؤلف واحد . فالكتاب دراسة لغوية ونقدية وأدبية .

أما اسم الكتاب «نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى» فيدل على هدف أراده الاستاذ البشير بن سلامة وهو تطعيم الفصحى بايقاعات العامية معنى هذا أن

---

(1) قدم هذا العرض يوم 14 جويلية 1984 فى حفل تكريم أقامته هيئة مهرجان قصور الساف سلقطه على شرف الاستاذ البشير بن سلامة بمناسبة صدور كتابه «نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى» . وكان الحفل شبه ندوة فكريـــة .

العامية ثرية بنبراتها الصوتية : واختلاف الجرس الصوْتى فيها يدل على أنها أكثر قابلية واستجابة لوظائف الرسالة الافهامية على حد تعبير الاسلوبيين المعاصرين .

وأراني مضطرا الى بسط ما ورد فى الكتاب من أفكار قبل أن أمر الى نقاش بعض النقاط فيه .

بين المؤلف دوافع الكتابة فجعلها نفسية بحتة وهى : الحساسية والانشغال بثلاث لغات : العربية والفرنسية واللهجة العامية مع الملاحظة أن العامية مجرد لهجة وليست لغة . وكانت النية من تاليف الكتاب بيان خصائص الفصحى من حيث النحو والتركيب والصوت واللفظ . والكاتب يرى أن مكانة الفرنسية كلغة غريبة فى مجتمع عربى جعلته يكتب عن الفصحى والعامية . وقد جارى ما يشاع من أن الفصحى لا تستطيع تبليغ ما تبلغه العامية ولكنه لم يدع الى أن تحل العامية محلها بل دعا الى التطعيم أى أن تثرى العامية أمها الفصحى . وهذا الرأى يدعو الى الاحتراز لان الفصحى استطاعت أن تعبر طيلة قرون عديدة عن مشاكل الامة العربية كلها وبأشكال فنية مختلفة . ثم ان العامية فرع والفصحى أصل وهل يغذى الفرع الاصل ؟ ..

أما عن فكرة التصاق العامية أكثر من الفصحى بالحياة اليومية للمجتمع فهى فكرة لئن صحت شيئا ما فى أيامنا هذه فانها لا تصح اذا ما عدنا الى العصور التى كان فيها العربى يتكلم الفصحى بالسليقة . يقول الكاتب : «... وليست القضية قضية ألفاظ ولا هى رهينة زخارة المعانى بل انّ المشكلة الاساسية انما تكمن فى خلو الجمل من هذا النفس الذى يجعل الفصحى لغة اليوم تعبر بكل طلاقة ويسر عن دفق الحياة الجديدة وتطفح بالسلاسة المطلوبة عن أخص خصائص تموجات واقع الناس والمجتمع» . ص 9 ـ ط 1 فسبب قصور العربية حسب رأى الاستاذ بن سلامة راجع الى أنها فقدت الحيوية ونقصد بالحيوية هنا أن تستعمل من قبل السواد الاعظم من الناس فى معاملاتهم الخاصة والعامة . وهو أمر صعب تحقيقه فى مجتمع تزاحمت فيه الحضارات المختلفة وحلت فيه الصورة محل الكلمة المنطوقة والمكتوبة .

وأما قول الاستاذ بان الخلق ممكن فى الفصحى وأن الابداع ممكن فى العامية فهو قول لا يؤكده واقع الكتابة لان الخلق حاصل فى العامية وممكن فى الفصحى باعتباره «الدرجة الصفر» . أما الابداع فلا يكون الا فى الفصحى لان الفصحى تتطلب مجهودين : مجهود للخلق ومجهود للابداع بينما

تقتصر العامية على مجهود واحد لان الخلق فطرى فيها وحاصل بشيوع استعمالها بين الناس .

ونحن لا ننكر أن الكتابة بالعامية صعبة وأنها قد تصل درجة الابداع ولكن هذا لا يكون الا فى الشعر لان الشعر ابداع فى النظم قبل أن يكون ابداعا فى انشاء المعانى .

فالابداع بالعامية = خلق بالفصحى

↓ ↓

شـائع قليـل

(لان المعانى ملقاة على الطريق)

ولو أخذنا الاجناس الادبية ونظرنا فى علاقتها بالفصحى والعامية لحصلنا على الجدول التالى :

	الفصحى	العـامية
الشعـر	+	+
القصـة	+	—
الحكـاية		+

ان محاولة تناول موضوع الصراع بين الفصحى والعامية ـ من وجهة الاهمية والفضل هذا الموضوع الذى نشأ وتولد عن اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الاخرى ـ تفضى بنا الى القول بأن الفصحى كانت لغة الكلام والكتابة فأصبحت لغة الكتابة فقط أى أنها مرت من التركيب الى البساطة .

مسالة الايقاع :

نشير هنا الى أن الايقاع موجود فى كل اللغات واللهجات لان الايقاع متصل بالنطق ومنه ظهرت صفات الحروف وخصائصها وأهميتها الصـوتية وعـن الايقاع تفرع علم الاصوات وعلم الدلالات . وعن النطق ظهر مفهوم الخطـاب الادبى كشكل فنى راق لا تطعن فيه أية مدرسة من مدارس النقد الحديث لان البحث عن خصائص الخطاب الادبى انما هو بحث عن خصائص العلاقة التى تربط بين الباث والمتقبل كناطق وكمستمع . وهذا الاشكال جعـل الغـربيين يسمون الخطاب تارة بـ : (Discours) وطورا بـ : (Enoncé)

ونقف هنا قليلا لنعود الى مفهوم التطعيم ، تطعيم الفصحى بالعامية . هل أن التطعيم شرط أساسى للابداع وهل أن هذا التطعيم لا يكون الا ايقاعيا نأخذ الشعر كمثال : فالشعر ايقاع أو على الاقل نقول بأن الايقاع أساسى فى الشعر ولكن هل نسمى شعرا كل ما كان موقعا دون اعتبار التراكيب الصحيحة والفصيحة ؟ طبعا لا ! لان الشعر يمنح للشاعر حق التصرف فى الكلمة لا فى التركيب لان التركيب متفق عليه فهو من المواضعة أو من «الاحتذاء» كما يقول الجاحظ وحالات التقديم والتأخير والاستطراد والحذف معروفة وواضحة .

والكتاب طرح اشكالية حادة تمثلت فى هذا السؤال : «هل هناك وحدة بين الفصحى والعامية ؟» . سوف لا أجيب آنيا على هذا السؤال لان الكتاب قد أجاب عليه فى مواطن عدة ... وانما سأمر الى تلك الدعوة الى تطوير معانى الكلمات .. وكأنى بالكاتب أراد بذلك علم الدلالات أو ما يعرف بمحاولات المعجمية . وقد دعا الاستاذ البشير بن سلامه الى ضبط نهائى لمعانى الكلمات وهو أمر عسير جدا فى العربية لان لغة الضاد على وجهين : «الاحتذاء» و «الاتساع» أو ما يعرف فى البلاغة بالحقيقة والمجاز . وهذه الثنائية شغلت اللغويين الاوائل طيلة خمسة قرون انطلاقا من أبى عبيدة معمر بن المثنى والجاحظ الى ابن رشيق القيروانى مرورا بابن جنى وبعبد القاهر الجرجانى وابن وهب الكاتب وأبى اسحاق الاسفراييني والرمانى والعسكرى ... وكل هؤلاء قالوا بالاصل والفرع وبتشعب الضبط والقياس وباتساع الاستعمال الى درجة قولهم بمفهوم «القدرة والامكان» وأن اللغة «رهينة اعتبارات كمية لا معنوية» ...

كل هذه التشعبات تجعلنا نتحرج فى ضبط معانى الكلمات ولكن نسعى فى الوقت ذاته الى ضبط تطور الجملة العربية من حيث البنية العامة . فالجملة ظاهرة حية فى اللغة تحتفظ بحيويتها حتى وان عزلت عن السياق . أما عناصرها فهى :

① الجانب الصوتى وتمر الجملة خلاله بمرحلتين : متصاعدة ومتنازلة :

ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا ↖ ↙ اليهود .

وهذا الانتصاف المرحلى هو انعكاس للخلفية المعنوية للجملة ولذلك كانت الجملة الاستفهامية من حيث النبرة صعودا دون نزول .

② الجانب النفسانى : وهو أن الجملة تنتج عن داع نفسانى أو هى رد فعل نتج عن منبه وهذا الجانب هو الذى اعتمده السلوكيون فى التحليل النفسى .

③ الجانب التركيبى النحوى : وتلوح الجملة من خلاله مجموعة ألفاظ تربط بينهما علاقة نحوية ربطا وظائفيا ...

والكتاب طرح أيضا اشكالية التجديد .

هل التجديد خروج عن القاعدة أم أنه مجرد تغيير فى الشكل (من شعر الى نثـر) ؟ لا يمكن ان نقول بأن التجديد هو خروج عن القاعدة لأن الخروج عن القاعدة خطأ بيد أن هناك امكانية التصرف دون مس بالحدود النحوية واللغوية عموما . ولكن يمكن أن نقول بأن أهم مظهر من مظاهر التجديد انما هـو فى الشكل • فنحن نعلم ان النثر الفنى كان تجديدا وأن المقامة كانت تجديدا وأن المسرح كان تجديدا وان القصة والرواية والاقصوصة كلها كانت فى وقت مـا محاولات تجديد . شيء واحد أيقنه العرب وهو أن التغيير لا يكون مسخا بل يجب أن يكون تطويرا • والعربى بفطرته ميال الى تقبل كل جديد فتقبل نثر ابن المقفع بما فيه من خصائص فارسية ولكنه حافظ على الشعر باعتباره ديوان العرب .. والنثر العربى كمظهر من مظاهر التجديد خضع لتأثيرات ثلاثة : فارسية وهندية وعربية أما شكله النهائى فهو عربى فيه مساواة بين الحروف والحركات لأن العرب لا يجزمون الا الفعل أما الاسماء فلا تجزم لانها تدل على الاعراب ولا عربية بدون اعراب . أما القول بـأن ابن المقفع قد حـول الجمـل البسيطة والمعطوفة الى جمل مركبة فنناقشه بأن مفهوم البساطـة والتركيب قياس بنائى هيكلى أما العطف فهو قياس على مستوى الربط . والجملة العربية اما ابتدائية أو استئنافية . أما التقسيم القديم (بسيط ومعطوف) فقد أصبح (بسيط ومركب ـ و ـ ابتدائى واستئنافى) : كان ثنائيـة واحدة فأصبـح ثنائيتيـن .

وخلاصة هذا الرأى أن عبد الله ابن المقفع هو الدليل الحى على ان العربيةقابلة للتطور والتفتح على شتى الاساليب والآداب .

سؤال آخر طرحه الكتاب : كيف ننهض بلغتنا العربية ؟ هل نبحث عما فعله المولدون لنفعلـه ؟

لا ، هذه سلفية ، بل يجب البحث عن تعصير دلالات الكلمات وذلك بخلق معادلات جديدة وكسر طوق العادة والمألوف وهو جائز فى الاستعمـال . ومـا اعجاز القرآن الا فى كسره لطوق المألوف من التعابير والاساليب « راجع مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى » .

أما عن وجه الفرق بين الكلام واللغة فالأمر لا يحتمل المقارنة لان الكلام هو وجه الاستعمال فى اللغة وبالتالى فلا فاصل بينهما .. بقى أن للغة كرصيد كيانه وقواعده وهذا موجود فى العربية ولا يوجد فى العامية .

والاشكالية المطروحة : هل أن العربية كلغة مستعصية عند الكلام لا تلين الا لنخبة معينـة ؟

الجواب هو أن العرب يفرقون بين الكلام العادى والكلام الذى يجرى على غير مجرى العادة كما يقول الجرجانى ، أو ما اتفق اللسانيون على تسميته بالكلام الشعرى والشعرية هى الادبية . فالنحو أساسى لكل متكلم أما البلاغة فتنشأ فى طور ثان هو طور الادبية . وقوة اللغة فى صمودها مرجعه الى صمود الحضارة التى تنتسب اليها تلك اللغة ، لا على أساس أنها لغة الدين فحسب والدليل على ذلك أن اللاطينية قد ذهبت على الرغم من أنها لغة دين .

أما اذا أردنا بقاء للغتنا فاننا مضطرون الى الشكل لان انعدام الشكل يفتح باب الخطا والخطأ تمهيد للزوال .

ونحن لا ننكر أن الفصحى قوية الوطأة بنحوها وصرفها واسنادها وعروضها وحقيقتها ومجازها واستعاراتها .. ولكنها لغة فيها من القوة ما يجعلها مصانة وجليلة .. ونحن لا نطلب من كل الناس أن يكتبوا أدبا لأن ذلك محال ! ثم لماذا نحن نرى فى الكتابة الادبية عبءا ينهـك كاهـل الاديب ويجعلـه « يتقمص شخصية غير شخصيته العادية : ص 29 من نظرية التطعيم الايقاعى .. »

ألا يمكن ان نصف الواقع الا بالعامية ؟ اليس هنالك من الادباء من أجاد الوصف بالفصحى ؟ (انظر طه حسين) ...

أما مفهوم الصناعة فهو وارد منذ القديم من عهد كتاب الصناعتيْن للعسكرى وكتاب العمدة فى صناعة الشعر .. لابن رشيق .

على أننا نقول بألا عزل للعربية أمام اللهجات الاخرى لان اشعاع اللهجات ضيق مهما حاولنا أن نوحد ، والخطر كل الخطر أن العامية كلغة خطاب أصبحت لغة كتابة مما أدى الى ثرائها وانتشارها على حساب الفصحى .. والبشر ميال بطبعة للاسهل خاصة فى عصر تيسرت فيه وسائل الطبـع مما جعلنا نقـرأ مؤلفات بالعامية الرذيلة أحيانا تغزو أسواق الثقافة فتمثل الوجه الشاحب والميت من النتاج الادبى .

ثم يتعرض الكتاب بعد ذلك للتفاوت بين الفصحى والعامية ويدعو الى الحد من هذا التفاوت ، ويأخذ لذلك أمثلة من أدب طه حسين ، وفى هذا الباب رأى

مفاده أن العرب نبغوا فى الشعر دون النثر لان الشعر شكل بلا معنى حسب رأى الكاتب والحق أن العرب قد عالجوا فى شعرهم كل الموضوعات وخصص ابن رشيق أبوابا من عمدته لتفصيل القول فى هذا الموضوع . كما عالج الكتاب ما يشاع من تعصب طه حسين للحضارة الفرعونية ولكن وبأية حالة لا يمكن لنا أن نرجع نجاح طه حسين الى تأثير العامية فى نثره لأن سر نبوغ طه حسين هو تنوع مصادر ثقافته (عرب - يونان - فرنسا . .) .

وقد تحدث الكتاب فى بعض خصائص الادب الافريقى العربى وأخذ لذلك مثال ابن رشيق . . وهذا الباب يحتوى على اشارة الى النزعة العرقية التى ميزت أديبا مشرقيا عن آخر مغربى والتى يراها الكاتب دافعا من دوافع التطوير . ويذهب الكاتب الى القول بأن البيئة هى سر النبوغ ، وهذا صحيح ولكننا نجد من يتعلم العربية ويبرع فى الصياغة بها .

ثم نصل بعد هذا كله الى الباب الذى باسمه عنوان الكتاب : «نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » .

فى بداية الباب يتحدث الكاتب فى أهمية الجملة ويذكر أن القدامى رغم محاولاتهم تركوا لنا غوامض وأنهم اعتنوا بدراسة اللفظ دون الجملة . وهذا رأى صحيح بدليل أن العرب لم يتفطنوا الى وجود الجملة الواقعة تمييزا .

ويتعرض الباب الى مفهوم الايقاع الشعرى وما تم فيه من دراسات ساعدت على ابراز علم الاصوات العربية وأنواع المقاطع (عوض الاسباب والاوتاد) . ونحن نقول بأن الشعر قد أخذ حظه من الدراسات الصوتية والدليل على ذلك أن كل شرح انشائى يستوجب بيان الانساق العروضية . وقد ذهب العرب شوطا كبيرا فى دراسة الوحدة الايقاعية فقسمت المقاطع الى وحدات صوتية دنيا وهى اللفاظم والصواتم . ونؤكد ما ذهب اليه الكاتب من أن التفعيلة وحدة عروضية وليست وحدة ايقاعية لأن الوحدة الايقاعية هى المقطع بأنواعه المختلفة وكل تفعيلة تحتوى على عدة مقاطع مختلفة .

وفى نهاية الباب يدعو الكاتب الى أن تمتص الفصحى حيوية العامية لتسمو وهذا غير ممكن حسب رأيى لان العامية فرع والفرع لا يغذى الاصل الا اذا وقعنا فى علاقة ضدية سببها انقلاب ميزان القوى . ثم يأخذ الكاتب أمثلة من شعر الشابى ليؤكد رأيه .

هذا هو كتاب « نظرية التطعيم الايقاعى فى الفصحى » كما ترونه وهو جدير بأن يدرس لا بأن يقدم بمثل هذه السرعة والارتجال .

الحبيب الدهمانى

عِنْدَ مُفتَرَقِ الطُّرُق

قصة : حياة بن الشيخ

ـ 2 ـ (*)

هدى تدور حول نفسها فـي الشقة كالفرس الجامح تترنم بأغنية غربيـة بصوت مزعج • اهتف ناهرة • تصمت على مضض • قلبى حزين • جسمـى جسر مـرت فوقه دبابات المحن فدمرته • حزن أكثر مما استطيع ان احتمل وبرود ذلك الضابط يستفزنى . تنطلق اغنية من فمـى تصرخ هدى هازئة :

ـ هكـذا ، عـلى الشعب ان يصمت ليتكلـم القـادة : انها الديمقـراطية العربية فى أبهى حللهـا .

لا أجيـب . أدخل الحمـام . صابون ملقـى علـى الارض وبعض الثيـاب المتناثرة . يستقر بيدى قميص راويـة . حية تسعـى مـن المرارة والخذلان ارميه جانبا وخوف طارىء يقتحمنى . خائفة ممن ولماذا ؟ انا مجموعة عقد لم تعد تهفو الى حل • جاءت أختها المتزوجة وأخذت ثيابها وحاجياتها فكيـف بقى هذا القميص ؟ نظراتها كانت تصرخ جهرا انتما السبب فى كل ما جرى ردت عليها هدى غاضبة ؟ اطمئنى لسنا خلف اسباب انحرافها » .

تطاحنت النظرات بغيظ وتأزم الموقف . أخيرا حملت متاع أختها ورحلت ساخطة . وقد بقيت هدى كالنمرة الجريحة لا تكـف عن التذمر « ان كانـت دون مستوى الحرية فلم سلمت نفسها لاول سائح غريب ليعبث بها . كـان يجب ان تتحمل مسؤولية حماقتها » « يا لهذه المسؤولية التى قضـت علـى

(*) انظر « الفكر » ع : 9 ـ س : 31 ـ جوان 1986 .

مواقفنا بالخور » « كلنا مصابون بنفس الداء ، التملص من الخطأ بعد الكارثة والقاء المسؤولية على أول ضحية وهذا ضعف ارذل من الضعف نفسه ، لو كل مذنب حاول أن يحاسب نفسه .. » « وقد تكالب الاراذل على نكسة يونيو وهم يتقاذفون كرة المسؤولية من ملعب الى آخر ،لكن نكبة الدفرسوار وحصار الجيش الثالث على عاتق من تلقى ؟ » .

راوية كانت مثلى مجرد طيف حائر بين الحقيقة والخيال . احلام ، مشاريع وطموحات تنتهى دوما كاجتماعات القمة . تبدأ من القمة بالتحليق ثم تنزلق نحو القاع بعد التصفيق ولا يبقى غير الهذر واللوائح ودخان السجائر المحترقة .

تومض عيناها ببريق حاد . خصلات شعرها ملتصقة بجبينها مع حبات العرق المتساقطة رغم البرد والصقيع . ترتمى فوق الفراش باكية « لا أعرف كيف ستكون النهاية ؟ هل مات أم لا ؟ لقد ضربته بالمزهرية على رأسه فتح لى باب الغرفة بكل بساطة وكأن خيانة لم ترتكب . ظننته وحيدا . دخلت واذا بى أرى فتاة ملقاة فوق السرير عارية تبتسم بمكر . لم فتح الباب اذن ؟ الكى أرى غريمتى ام ماذا ؟ لكن ما اود معرفته الآن هل أنا مجرمة أم لا ؟ ماذا جرى ؟ » « راوية ، أنت تعذبين نفسك بلا رحمة . الرؤوس السافلة لا تحطمها مزهرية . اطمئنى . حتما لم يمت » « لو رأيت الفتاة النائمة فوق السرير عارية تماما تتحدى الانس والجان بعريها لفقدت صوابك . لم جرى كل هذا ولم لى أنا ؟ لم ؟ كان يريد اذلالى والتخلص منى فى نفس الوقت فكان له ما أراد » « ثرى فاسق له فى كل ساعة عشيقة وفى كل بلد زوجة واطفال ماذا تنتظرين منه ؟ يجب ان تنسى . « بل يجب ان ارحل لن احتمل هذه الهزيمة » « كلنا مهزومون بطريقة ما لكن » « يجب ان أرحل . يجب » « لا » .

فى لحظة طيش وجنون أخذت القرار الحاسم وان كانت النهاية مفجعة الا أنها فتحت سبيل الخلاص . والى الآن ما زلت أحلم وانتظر والقرار ضاع فى شرانق التردد والاحباط . ضاع كما ضاع مصير العروبة فى عتمة القرار السياسى وخور القرار العسكرى .

آخر مغامرة عشتها كانت سخفا يفوق سخف مناورات الاحزاب المتطاحنة على كرسى الحكم . كيف دخلت الشقة ؟ ولم ؟ وكيف هربت ؟.

قدم لى الكأس مبتسما « فـي صحتك » شرب كأسه . بقيت ابحلق فـي كأسي في فزع . أشـرب ، لا اشرب ؟ أنا حزينة ووحيدة وجبانـة . أود أن أعيش وارفض أن أعيش ولـم اسع أبدا الـى معرفـة كيـف يعيش الناس ؟ تقدمية الاقـوال ورجعية الافكـار ، الجميع يتندرون بذلك . اذن أشـرب . ازدادت ابتسامتـه اتساعا وارتباكـي يتفاقم . شفتاه تلثمان شعـرى . أنـا تمثال لا يتحرك . عقلـي يولول وجسمي مشلول . ماذا اريد مـن هذا الرجل الاشقـر ؟ لا شـيء . لم أنا هنـا اذن ؟ وضـع الكأس فـي فمـي . شربت متقززة • المرارة بحلقي • تسير عبر مجارى حياتي • يسقط الكأس ارضا • عيناه واحة ظلال حمراء يجذبني من كتفي . لا اتحرك • يتركني قاصدا غرفة النوم . نظراتي تتسلق اللوحات المتراصة فوق الجدران . مـن الغرفة جاء صوته « تعالى هنا ، ماذا تنتظرين ؟» امام باب الغرفة اقف منسحقة . جسده الرشيق ملقى فوق الفراش عاريا من كل حقيقة كأوهامي النابحة خلف قوافل القدر . « ألا تأتي ؟ » .

يقفز ليقف قبالتي . موثوقة أنا فى مكانى بحبال لا مرئيـة لا اتنحنح . يطوق جسدى بذراعيه ادفعه بغل . يقع على السرير حانقـا « حيوان شرس معقد أنت • لست امرأة » • تتقاتل النظرات لحظـات • يختطـف العـروس الصغيرة من فوق المنضدة يضمها اليه بضحكة عالية « سأضاجع هذه الدمية الجميلة ربما شعرت بى ، اما أنت فابحثى عمن يذيب صقيع ثلوجك » الدمية بين احضانه وهو يضحك . اندفع ضاحكة معـه . وهربـت من الشقة وأنـا أضحك وقد بقيت أكثر من شهر اذكره ضاحكة .

فتح باب شقته وسرواله ورغائبـه لكنه نسى ان يفتح عقله وقلبه . وجاء قبله آخرون تمنوا لو فتحوا شققهم وسراويلهم ومضخة رغائبهم ولا احد فكر ان يفتح عقلـه او قلبه . انه الحضيض الذى يغرى الجرابيع . ضحكت وقد جف الضحك فى فمى منذ اكتشفـت مأساة هذا البلد . ان رجـال هذا البلد المجنون يسارعون بفتح سراويلهم قبل فتح عقـولهم وقلوبهم اذ هـم فقدوا كل شيء فى سوق التدهور ولم تبق غير السراويل المثقوبة ..

فوق الاريكة فـي الصالة الصغيرة أجلس . عاد الخمول يلفنـي لكن عقلى آلة حاسبة لا تكف عن لعمل .

جاء المـرتب فـي أول يوم من الشهر واليوم وهـو اليـوم الثالث منـه سيرحل . الايجار والبقال و . أوف ، يا له من مرتب منكود الطالع يقدمونـه

بيد وينتزعونه باليد الاخرى مع الضرب والركل ، غلاء المعيشة ، والضرائب الاستثنائية والابتزازات اليومية وكلها اشهر ولن نعود نسير على الاقدام كجميع خلق الله ، بل سترغمنا الاوضاع المقلوبة على الزحف على الركب حفاة عراة ، أيدينا مرفوعة الى السماء والسنتنا تتدلى لاحسة الغبار . ومع ذلك فالدنيا بخير . هكذا قالوا وهكذا صدقنا .

كالزوبعة تنطلق هدى من الغرفة . تقف قبالتى متمايلة والبنطلون الضيق يعض جسمها :

ــ نسيت ان اخبرك بتطورات الموقف .

تواصل أمام صمتى المتسائل :

ــ سأذهب الآن الى الدكتور . اتفقت معه على عملية اجهاض .

أصرخ بالتياع :

ــ لا ، أنت كاذبة .

ــ هذه هى الحقيقة . جنين من ؟ لا يهم . المهم الآن التخلص منه .

جرأة هذه الفتاة تستنزف قواى . النقيض يفترسنا . عاشت الحياة وها هى تود التخلص منها وقد ابت الحياة ان تدخل جحرى ولو خطأ . وقد اعتقدت ببله أم مصيرى سيتغير بعد ان تركت معتقل البيت ، ذاك البيت الذى لا تدخله الحياة ولا يعرف سوى النزاع على الارث مع نباح الكلاب ليلا ومواء القطط وحشرجة المآذن المختنقة بآذان الفجر . فى كل مرة كانت هى التى ترفع لائحة الاحتجاج لكن الساعة على انا ان ارفع لائحة احتجاجى عاليا :

ــ لا للحرية العابثة . لا للجنس المبتذل . نعم للحرية المسؤولة

تصفق ساخرة :

ــ الآن بدأت أطمئن على مستقبلك . خطيبة ممتازة ، تصلحين أن تكونى رئيسة حزب او مندوبة دائمة فى مجلس الامن .

ــ لا أسعى الى شىء من هذا . انا فتاة مقهورة ابحث عن وضع فى بلد فقد وعيه فى زحمة المناصب والكراسى .

ـ اذن علينا بتحطيم جميع الكراسى ، انها سبب انحرافنا .

انها اللعبة الازلية . من يحطم مـن ؟ ومن يتربص بمـن ؟ والكلمة الاخيرة لمن ؟.

ـ ستذهبين معـــى .

ـ اما مشمئزة ممـا تفعلين .

ـ العذرية أول اثم الهـى اقترف وكانت ضحيته الانثـى . كأن كل شىء جهز ليخدم مصلحة الذكر لذا علينا بتجاوز قوانين الطبيعة الجائرة .

اللعنة على الماضى . الاغلال . معتقل البيـت والجلاد الماسـك بهـراوة العادات والتقاليد والكبت والقمع ، والحرية الملطخة بوحل الرفض . الرفض والحلم ونجوم فوق بدلة عسكرية تنخر لحمى كالمسامير الحامية وابتسامة غامضة بلا معنى ولا هدف تسلخ انتظارى القاحل . وصـوت راوية الساخط « لا بد من ثورة على التخلـف والرجعية والمجتمع الابوى المستبد . ثـورة شعارها : الحب والحرية والمساواة » « الطـرف الاقوى فـى المجتمع هـو الذى يحكم » « وعلى المحكوم ان يقول لا حتـى لا يصبح حيوانا مكمم الفم »

عدت اتعـذب . حتما القدر الآن يقهقه فرحا ، تواطأ اللـه مع القدر علـى ابادتى فما بعد ؟ هل ينقذنى ضابط وجـل ؟.

تشعل سيجارة وضحكتها تجلجل فى الشقة الصامتة . اشعـل سيجـارة بدورى ويناير يطل من النافذة بسحنته الداكنة والهلال اختفى منتزعا حفنـة من طموحاتى ، اختفى مفسحا المجـال لشمس قاحلة شحيحة كـى ترسـل اشعتها الهزيلة .

ـ تصورى لقد التهمت فى عشاء الامس دجاجة كاملة ، الحساب طبعا على رفيقـــــى .

ـ اتساءل احيانا متى تشبعين ؟ ربما أصابتك عقدة الجوع .

ـ انه جوع الماضـى يلاحقنى . كنت آكل ضاحكة حتى كدت اختنق بما فى فمى ، تذكرت يـوم اختلست الدجاجة من بيت صاحب الحقل الذى يعمل به أبى . دخلت غرفة الطعام صدفـة وجدت الدجاج المحمـر فـوق المائدة

ينتظر الضيوف .. قلت في نفسي لم لا اختلس نصيبي من الوليمة ٠ لم افكر كثيرا بل اختطفت دجاجة محمرة وهربت . لكن ابن السيد تفطن للامر وهددني بالوشاية . اما ان اكون له واما يعلن امر السرقة . طبعا وافقت على الاقتراح الاول . وتحت شجرة في الحقل سلمته نفسي . كنت في العاشرة وكان يكبرني بسبع سنوات . يومها فقدت عذريتي .

سلسلة مهازلونوبة من الضحك وفتاتان في شقة واحدة يجمعهما التآخي والنقيض :

ـ يا للهول ، من اجل دجاجـــة .

ـ نعم ، طغى شعور الخوف حتى افقدني الوعي . لكني لم اندم بل من يومها تعودت على الذهاب كل عشية ارقبه عند الشجرة حتى ياتي . كانت ساعات لذيذة وكان فحلا وجريئا وغدا أيضا اذ نسيني سريعا ..

ـ لم تكن التجربة ممارسة حرية أو حب ، بل كانت مداراة لفضيحة . كل حركة اخذ وعطاء لا بد ان تكون صادرة عن حب والحياة نفسها لا بد ان تمارس عن طريق الحب والا عمت الفوضى وساد التشتت ..

ـ حذاري من الكلمات الرنانة والشعارات الجوفاء . هيا بنا نترك هذه الشقة التي علمتك الكسل اسبوع كامل في الفراش يا لك من صبورة شجاعـــة ..

الا نصف ساعة اختلسها كل يوم . أقف على الناصية عند مفترق الطرق انتظر مرور ضابط بهي الطلعة ، بديع القوام ، أحاول ان انتزع من قبضته قدري النائم في حضن المحن ، انتزعه لادفع به رغما الى التحول .لكن الكف لا تنفتح . تمر السيارة ببطء شرس ترفسني عجلاتها بلا مبالاة من مر زمنه وسط الرخاء فلم يعرف قساوة النضال ، تمر ولا يبقى بين اجفاني غير ظلال خضراء داكنة تجهض انتظاري ونظرة متسائلة من ضابط متقاعس قضيت الدهر أصرخ أناديه ٠ تحرك الجماد وثار الحيوان واهتزت الارض وتذمرت السماء لكنه لم يسمع ولم يع .

يا له من غضب مجنون . جنون بلا رادع يأكل بعضه بعضا . نامت المدينة اعواما على أوجاعها صامتة ، لاهية والآن ها هي تستفيق لتنهش جسمها بأسنانها بنهم كافر ، « احرق ، اضرب . نموت . نموت ، ويحيا الوطن »

الجحيم يفتح زنازينه . العفاريت تعدو صارخة ، ناقمة ، حاقدة . اعمدة الكهرباء تتحطم . السيارات تحترق .

تقول هدى ونحن نحاول الهروب من الزحام :

ـ لن استطيع الذهاب الى الطبيب ولن يتم الاجهاض اليوم . لا يهم ، لست آسفة .

لكن المدينة تلقى بجنينها المشوه فوق الطرقات المتهدمة والارصفة المحفرة . لا بيت لي ولا شبر أرض . لا ذكرى حب سعيد احيا بحنينه أو مستقبل واعد اسعى اليه فلم الخوف ؟ حتى الوضع .. ضاع وضعى فى مدينة السماسرة والبغايا والقوادين .

ـ لن يكون الشعب حرا الا اذا اطمأن على رغيفه .

ـ وعلى نزاهة انتفاضاته .

ـ ماذا تقصدين ؟ .

ـ اتساءل اهذه انتفاضة الرغيف ام محاولة تصفية حسابات ؟ .

ـ لتكن ما تريد ان تكون وليعم الطوفان المدينة الجاحدة ، لا نملك شيئا .

صوت امرأة هاربة يزعق « اين البوليس ، أين الجيش ؟ » .

ـ ما الذى يجعل العبد يهب حياته لحماية مكاسب الاسياد .

ـ على العبيد ان يموتوا ليحيا الاسياد .

« اللعنة على الاوضاع المنحرفة » كدت أقسم والفتى يدفعنا راكضا . الاوضاع .. الى الآن لم أفهم حقيقة وضعنا ، اشتراكيون أم رأسماليون اثرياء أم فقراء . مع الحرب ام مع السلم ؟ عشش الحرافيش تجذبنا الى قرون مضت من الفقر والهوان وتطرف الوصوليين والفيلات الفاخرة تدفع بنا الى عصر لاحق من التسيب والرفاهة .

ـ على المائدة سلطة رأسمالية بتطلعات اشتراكية لكن الممارسة شبه شيوعية .

ـ وعندما يترك التتار جحره ليجوب المدينة مهددا تنقلب الموازين فتختلط الطموحات وتتشعب الممارسات .

ـ وينسحق الجميع فوق سندان الزمن البائر وانخرام الامن .

ـ الكل له الحق فى الحياة فى مجتمع العدل والمساواة .

عدنا الى المشكلة التقليدية ، حق اسرائيل فى البقاء وحق اللاجئين فى تقرير المصير ولا حق يسير العالم الآن الا يد القوة . انت الحاكم اذن لا بد أن أكون الحمار الذى لا ينهق . أنت المدير المسؤول لذا يجب أن أكون الحشرة التى تسعى تحت قدميك حتى ترفسها ساعة تشاء .

المسلمون يتقاتلون . يزدرد بعضهم بعضا . بضراوة شاذة ؟ أموالنا ضائعة والارواح رخيصة . الجماهير ناقمة . الاحزاب تتناحر فى الخفاء ترعى بذور الفتنة . الطائفية تقتال لبنان . أين العرب ؟ أين البترول والعتاد ؟ نرفض كامب ديفيد فهل من بديل ؟.

الصعاليك يتصارعون على الرغيف والعظماء ستشنقهم يوما ملايينهم المهربة . الهتافات مشاكسة . الغضب غاضب . الضحية تبحث عن كبش الفداء . فريسة تجاهد فى التهام فريسة . التيار يكتسحنا . ابتدأت معركة القمة والقاع . تارجع الوضع ثانية .

قرب الرصيف كانت السيارة تحترق والاخ الذى يهفو الى تجريدنا من كل ما نملك ملقى على الارض وسط حلبة الحرافيين الغاضبة ، مخضب الجسم بالكدمات . أنفه ينزف جراحة تنزف . ممزق الثياب وحوله لعنات الاموال المنهوبة والارض المغتصبة والام الغارقة فى خنادق السلب والتواطؤ مع الابن المفضل .

ستصرخ أمى وتلطم خديها حسرة وغيظا حين يداهمها الخبر ، لكن السيارة تحترق وشبكة الاستبداد تتفكك عقدة عقدة وقد تمزقت سلاسل الجشع والطمع بعد ان اكتسحها الهوس الشعبى .

« الارض لى . بها ادخل دنيا الثراء . لن اسمح لاحد باقتسام الغنيمة معى » « ما تفعل الاناث بالارض ، حسبهن بضعة دنانير . أنا الرجل تحت قدمى الثروة والمستقبل والام التى ما تزال تؤسرها عقدة الذكورة » .

لا أتقدم ولا أتأخر كما لا اعرف ما افعل ؟ مخطط الصهيونية يقول : يجب أن يغادروا ، ومخطط العائلة كان دفع الاوضاع الى حافة الهاوية فاما الرحيل واما السقوط .

ابحث عن هدى ، لا اجدها . أهرب من الغضب المسعور ضائعة وسط الفوضى والزحام . حصاة تتبعثر فوق اتربة العالم الثالث . عالم الفقر والاعتداء . تمزق الرعية واستبداد الطغاة . ثراء النخبة وبؤس الاغلبية . والحرية والكرامة ، تحسين الانتاجية واستقرار الاسعار ورفع الاجور والمساواة بين الذكر والانثى ، احرف عجفاء حلقت دهرا فوق اكداس القمامة ثم سقطت فى مراحيض السفسطة ، والمساواة . طز ! دوما للذكر مثل حظ الانثيين اى قضاء متعسف قضى بذلك ؟ ان كان الله لم يعدل فكيف نطلب من الحاكم ان يكون عادلا ؟.

دوار . غضب . اتكيء على شجرة لم تقتلع بعد . الاعمدة تحطمت والارصفة تفتت . الشعب غاضب وجائع ، وانا جائعة ايضا . لم اتناول الصبح غير قهوة وكانت مرة برغم قطع السكر التى وضعتها فيها .

انفجر البركان ضد من ومن اجل من ؟ مذنبون ام أبرياء نحن ؟ لم وكيف ؟

ومنذ ايام قلت لهدى «عدونا الاول هو الظلم» هزت كتفيها قائلة « اعداؤنا كثر . الفقر ، والجهل والسلبية » لم نستقر على رأى . اتفقنا أخيرا على أننا شعب كثير الاعداء . قليل الحيلة ،ممزق الطموحات . ضحكنا كما لم نضحك منذ امد وقد اكتشفنا اننا سنظل نهفو الى التغيير والحياة السعيدة والمجتمع المثالى والحب للجميع ، والحرية للجميع بلا امل . نهذى كأبواق الاعلام ولا نفعل شيئا الا الضحك على أنفسنا اذ الحل المطروح على الساحة : الثورة على الوضع او الضحك عليه وما دمنا لم نتوصل الى التغيير فلنضحك على كل شىء أنتقاما من كل شىء .

انا فى يقظة أم فى غيبوبة ؟ ابتلع الصرخة فى حلقى ام اقذف بها خارجه الرؤية تفقأ اعينى هو ام لا ؟ تأبط ذراع أخرى يضمها اليه محاولا حمايتها من خطر ما وانا وسط العاصمة اصرخ ولا من يتقدم لانقاذى .

مصيرى الجريح يخضب بالدم البدلة العسكرية العابثة بأحلامى والملامح المتجهمة تحشو جسمى بالرصاص ، يرجنى ثم يفرقع تحت قدميه فى دوي رهيب .

أنا أحلم . أنا أهذى . الحمى تجلدنى . أخشى ان افتح عينى . أخشى أن اغمضهما الى الابد . اختلط الواقع بالسراب منذ اصبح وجودنا حفنة ترهات تتشدق بها افواه لئيمة . لا شىء . كابوس عابر زلزل الارض ، وستعود الى غفوتها .

لكن من كان على صواب انا أم هدى ؟ تعاسة الواقع المعترف به أم بريق الحلم المنتظر ؟ .

« أنت لا تريدين الاعتراف بالهزيمة وهذا ما يزعجك . خسرت الحرب قبل دخول المعركة فلم المكابرة ؟» الاعتراف بالهزيمة صعب وامر منه مواجهة الموقف العاجز . وانا عاجزة من أعلى رأسى حتى أصابع قدمى لكننى لن استسلم . تواصل ساخرة أمام صمتى .

« ربما أنت تحلمين بنصر سياسى يعيد ما ضاع ، لا أيتها الواهمة ، انتهى زمن الحلول السياسية . انه عصر الحرب وما افتك بالقوة لا يرجع الا بالقوة » .

« تفاهم أمام مائدة مستديرة افضل من الحرب والنصر المستحيل » .

« المهزومون هم الساعون الى التفاهم » .

« علينا بسياسة الخطوة خطوة فى انتظار الحل السلمى ، الحرب استنزاف وتبديد للمجهود والقوى » .

« على كل لا تقلقى فنكبتك حضارية سيتحدث التاريخ عنها طويلا وسوف تدون فى سجل الشعوب التى عاشت تحلم وماتت تحلم ولا رصيد لها غير التشرذم والاستسلام » .

حقا يجب الا اسرف فى الحلم والا القت السلطات على القبض بتهمة التمرد . ان ضاع الحلم فما بقى ؟ والمستقبل ان فكرت فيه زحفت افاعى الجنون لتنفث فى جسدى مزيدا من الطيش والجنون .

وقبل موت راوية بيوم قلت لها ضاحكة وانا احاول نسيان نكساتنا المتلاحقة ..

« سأتوجه بنداء الـى المجموعة الاممية لاعادة هذه العاشقـة الفاشلـة الى الصواب » .

ردت بمرارة والدمع بعينيها « ومـا فعلت المجموعـة الاممية للتشـاد ، والخليج ، واعتداءات اسرائيل المتكررة ؟ نداء ضائع فى مهب الريـــح » .

والآن الى أين ؟ الى حيث تقودنى قدماى المتورمتان . بلا هدف . أزحـف الاحق السـراب بحماس فاتر وبسمة مريبة الغموض من ضابط لا مبال تسد منافذ طموحاتي .

« عليك بشيخ من اثرياء البترول جيبه مملوء بالدولارات وجسمه مرتـع المرض والشذوذ الجنسى . المضاجعة بحبـوب ، والمداعبـة بمنشط مـا دمت تبحثين عن المال والجاه متناسية الحب والحياة » .

هدى تضحك ساخرة دوما وراوية تلعنها غاضبة وانا . أنا تركت البيـت هاربة من الكبت والاعتداء والرفض فوق ظهرى يركلنى من حين لآخر . وحتما قالوا عاهرة ومجنونة ولم يعرفوا انى هنا وحيدة تتوج رأسى ضفائر القهـر أقاوم الحاضر والغد المجهول وطيـف رجل يطل مـن خلف الاسوار يبعـث اليأس والامل لكنه لا يستقر على يأس أو أمـل .

ماذا ينتظر وإلام ارقبه ؟ هل يتحرك ، هل يتقدم يوما ؟ وانا هل تقدمـت خطوة ؟ لا . عدت عند مفتـرق الطرق انتظر ، انتظر ماذا ؟ أيامـى المتقاتلة فى مضيق فمه الصامت تهمس فى اذنى ؟ عندما يكتمـل البدر ستقول الحياة كلمتها ، بعدهـا ربما تزحزح القدر وكان ربيع الحب : فمتـى يكون ذلـك ؟ متـــــــى ؟؟؟.

حيـــاة بـن الشيـــخ

تضاريس في الجسد المتعب

شعر: احمد الحباشة

يا قبيح الوجه ..
يا هذا الزمانْ
شاعر مثلي ولكن
عربي دون شانْ
يتلوى من مصير
مظلم في كل آن
وحياة عذُبتْ
إذ عذّبت بالامتهانْ
وعيون نظرت
فيها عيون ويدان
ذبحتها صفعتان
وجبين ذلّ حتى
فيه ذلّ الحاجبان
أنا والحزن صديقي
في الليالي دمعتان

كبرت فيّ المآسي
وللمآسي رهان
كيف هذا الظلم يحتلّ كياني
يا زمــــان ؟
كيف يمسي الكفء منبوذ البيان
يا زمــــان ؟
كيف أمسى الشعر مشطور اللسانِ
يا زمــــان ؟
كيف ليلي صار أعمى
وبعينيه أنا كالشمعدان ؟
كيف جاء الحزن واحتلّ الكيان ؟
كيف عصري مثل مجنون غدا
قد حاصرته القبلتان ؟
قبلةُ الظلم وأخرى
لبياض الروح والإيمانْ
أتلظّى في جنوني

أتدلى بصراخ الرفض في كل أوان
لست ألقى غير كانْ
ثم كـانْ ...
فُقدت كل المعاني يا زمان !
رافض وجهي أنا
رافض صوتي أنا
رافض حتى جنوني
فجنوني لا يلبّيه سوى صوتٌ جبانْ
رافض دوما وما عندي مكان
كل أوطاني سجونْ
كل أحلامي شجون
كل أيامي دخانْ ! ...
أيها الليل أفقْ ...
قد طال فيك الامتهانْ !
أيها الحزن أفق ...
فقد الصبر الرهان !
عشقوني عربيا له معنى .. حين كان
عشقوني عربيا له وجه .. حين كان
عشقوني عربيا له صوت .. وبيان
عشقوني عربيا له تاريخ وشان
رفضوني ...
عربيا ذبلت فيه اليدان
رفضوني ...
عربيا سابحٌ فيه الهوان
رفضوني ...
عربيا هامشيا ...
فوق أتعاب الزمان
رفضوني ...
عربيا لبس العار وللذل استكان
رفضوني ...
إذ نطقتُ
رفضوني ...
إذ حللتُ
رفضوني ... إذ أفقتُ
وتحديت الهوان !
جسدي الكرسيُّ أضناه رماهْ
جسدي الطوفان قد عض المياه
جسدي الورد بكاه
جسدي أغنية واللحن آه ! ..
جسدي مزرعة للنار والأفواه
جسدي فاتنة دون شفاه ! ..
يتشهاها الطغاه
جسدي عاشقة عاشقها تاه .. وتاهْ ! ..
والدّم الدّامي غطاه !
جسدي قد جزّأوا فيه النهود
فصلوا الرأس عن الصدر
وأبقوه حدودا في حدود !!
وأنا الواحد في حزني الوحيد !.

كل صبح جسدي من جسدي
يلدُ الجرح الجديدْ
وجرحي تكبر الأفراح
والدنيا نشيد
فجراحي عندهم أفراح عيدْ
يا زماني ..
يا قبيحَ الفعل يا وجه الشريدْ
هل ترى يرضيك هذا ؟ أم ترى
ما زلت تبغي وتريد ؟ ..
ليت للطير جراحا
فيعي جرحي ويدري
ليت للعصفور صبرا فيراني
كيف أضنى الصبر صبري
ليت للريح شفاها وبها
تعزف لي الحزن بصدري
ليسيل الجرح نهرا دافقا
بالشعر والكفر بعصري
إنني يوم بكم أكفر لا .. لا
لن أعود
إنني يوم بكم أكفر يا قوم
سيمسي القلب مني كالجليد
وإليكم لن أعود ..
إنني يوم بكم أكفر لا .. لا
لن يقول الجيل عني :
كافر غير مفيد
إنني يوم بكم أكفر حتما
سيكون الصوت من غير قيود
سيكون الوجه من غير حدود
سيعيش الورد عطرا سابحا
كالطير في هذا الوجود
ويُزَفّ الليل عيدا
لفمِ الفجر الوليد
فلتفيقـوا ...
أبدا لن تشرق الشمس عليكم
بدم الورد الشهيد
أبدا لن تعرفوا غير بكاء الذنب
والذنب مديد
أبدا لن تسمعوا من شفتي
غير عيوب تتدلى
كالعناقيد على رقصة جيد
أبدا لن ترتقوا للضوء يحبو
في جنون العصر كالطفل الوليد
أبدا يا قوم لا .. لا ..
لن أعود ! ..
شاطىء الطهر رماني
بعد أن كان احتواني
وتوارى الليل في حزن الكمان
وعلى كل وجوه الناس حلم ..

وأمان ..
ويداي الشمعتان
لم تعودا تعرفان الرفع في وجه الهوان
آه من هذا الزمان !
آه من جرح الكيان !
هل لأبنائي أقول : كان كانْ
ثم كانْ
لست أدري حائر وسْط جراحي
في زماني من زماني ...
حبلت منا المآسي
لم تلد غير الأماني
ذبلت فينا الثواني
لم تعد تدري ارتفاعي
في سقوطي اللا مكاني
لم يعد وجهي جميلا
كي أراه فيراني
لم يعد صوتي نشيدا
به يختال زماني
لم تعد أذني برأسي
ستطيب اللحن في بحر الأغاني

وخلاص الحزن دين واحدٌ
مثل الجمان
وخلاص الحزن حب واحد
ما له في القلب ثان
غير أني ... غير أني
رافض وحدي زماني
رافض صوتي
بأتعاب المكان
رافض حبي بحزنٍ
رافض حتى كياني
في زماني من زماني
واسألوا عنكم عذابي
وهواني
سيكون الرد حتما
« يا للنّي ... يا للاّنِي »
كلنا منا يعاني
« يا للني ... يا للاني »
كلنا في الحب زانٍ
« يا للني ... يا للاني »

أحمد الحباشة

الوعي الآخر

بقلم : البشير التلمودي

ان التغير الدائم الذى اصبت به منذ ان اغلق خلفى جدار الدائرة الضيقة .. لم يعرف التوقف ابـدا .

لقد كنت اعيشه لحظة بلحظة .. ولكننى لم اكن اعرف بالضبط اسباب ذلك ولا كيفيـة الرفض او الفرار .

وعرفت ان السجن الحقيقى لا يفتح بابه الا للداخل كالمصيدة تماما لا يمنح الخـروج للاحياء .

لقد احسست بالوحدة وانا اعيش تجربة التحول القاسية .

يبدو اننى والحظ عدوان منذ البداية

شىء مفجع ان لا ابعث الا لكى افكر فى صمت واصرخ بلا صوت .

قد لا يزيد الصوت الحقيقة كثيرا .. لكنه يرجع صدى المسموعات !

فى هذا السجن الكروى المظلم .. تمنيت لاول مرة ان يكون لى صديق .

ان الفضاء اللامحدود وحده يغنيك عن كل رفيـق .

لان الضياع المطلق لا يعرف الوحشة . انه امتداد للحرية والاطمئنان .

بحثت عن شىء اتلهى به .. فلم اجد . ربما لضيق المجال وانسداد الآفـاق وتشابه الموجودات ..... وربما ايضا لاستحالة ارضاء اهوائى المتغيرة دوما .

ان عالما يمكن حصره فى مقلـة عـين ..

لا يمكن ان يملأ عينا تزخر بطموحات لا تحصى .

ترى .. ما الذى يمكن ان يرضى كائنا كان يعيش حرية مطلقة وحبا خالدا ؟

ان من يكتشف وعيه فى غمرة صفاء موسيقى دافىء عذب ..

مازالت حدوده تبعث عن اطوالها .. ثم يجد نفسه بغتة داخل بوتقة العذاب ..
يتكهن حتما بأن الفصل الآتى خنجر فى جرح الفصل السابق .. وهو الضحية

قبل ان اقحم فى وجودى الجديد .. لم اكن اعرف صورة لهيكلي وقسماتى ..
لان الفضاء اللامحدود لا يفرض اشكالا لمخلوقاتـه .

الاشكال والصور من صنع المادة المحدودة ..

والعلاقة بينهمـا واجبة ومتكاملـة .

لاول مرة .. بدأت أحس ان عملية التحول التى أمر بها .. تعـرف طريقها جيدا الى مادتـى ..

.. وان أصابعها الخفية تحذق فعلا معالجة الصلصال ! ..

يبدو اننى سآخذ فى النهاية شكلا غريبا ..

وسأجسم صورة أخرى مغايرة تمامـا لصورتى القديمة المتمردة عـلى كـل الاشكـال ...

.. وشعرت بالغثيـان ..

ولم اعد افهم معنى لهذا الظلام وهذا الوضـع ! ..

احيـانـا ...

اسمع اصواتا لا افقه منها شيئا .. انها تختلف تماما عن اصواتى القديمة .

ان الاصوات التى تحس هى الاصوات الجديرة بالسماع .

لان الصرير والازيز وارتطام الاشياء يطرد من العروق النشوة .. ويزرع فيها الاشواك ! ..

احيانا ايضا .. كنت اشعر بشىء يصدمنى .. شىء خارجى .. هكذا وبدون سابق انذار .. فكنت اتألم فى صمت وافكر :

ما الذى يمكن ان يحدث خارج هذه الزنزانة ؟ لم اعد اعرف شيئا مذ دخلت الى هنـــا .

يبدو اننى بدأت افقد وعيى الحقيقى فعـلا ! ..

ان ما ينتابنى من حين للآخر .. هو وعى بسيط لا اقدر الوصول به الى فهم الكثير من اسرار هذا الوجود الغريب المتحول .

واحترت عبر لحظة تأمل بين اختيارين :

الانتحار حزنا والخروج الى فضاء آخـر ...

ام انتظار الدقيقة الصفر .. موعدى مع رحلة العذاب ؟
فكرت طويلا .. فاخترت البقاء مكرها .. لمواصلة التجربة ! ..
لم يكن فى مقدورى ان افعل عكس ذلك . لاننى نسيت فعلا طريق العودة .
انا الآن حزين لاننى اصبحت مخلوقا مخدوعا .
ترى .. هل سيلاقى رفاقى القدامى نفس المصير ؟
ما الذى كنت افعله الآن لو لم اقع فى الفخ ؟
ومن كان سيقوم بهذه التجربة عوضى لو اخطأتنى الصدفة ؟
وايـن هو الآن ؟
شىء قبيح هذا الذى افكر فيه .. لانه نوع من الحسد .
غريب أمر هذا الوجود الجديد .. حتى الافكار تاخذ فيه شكلا آخر ..
من قال : ان الايام قادرة على تغيير الاشكال والقسمات والافكار ايضا ؟
فى القديم مثلا .. لم اكن افكر فى الغير .. رغم ذلك .. لم اكن انانيا عاديا .
كنت لا افكر الا فى نفسى . رغم ذلك .. فقد كنت اجهل الحسد .
يخطىء من يدعى ان الانانية مصدر الرذائل لان الانانية الخالصة هى حب الذات المطلقة ونسيان الحقد وعبادة الحياة .

ان المفهوم الشائع للانانية هو سبب انحطاط القيم وانهيار الانسان نفسه • عجبا .. كيف يمكن للانسان ان يعمل ضد تفكيره الباطنى ؟
ان التناقص سبب كل انهيار . ولست ادرى لماذا يكفر الانسان بأنانيته ما دام يعلم ان الجميع يؤمنون بها فى السر مثلـه !؟
لقد حان زمن التطبيق ونسف الوهم لاقامة نصب واحد لايمان موحـد يعيد للجميع براءة التعامل ونزاهة المحبة .
ان الانانية المجردة حق مكتسب لاثبات الذات والبقاء فى عالـم آفاقه حـب وسـلام .
لقد كنت أنانيا .. وسأبقى مثلك بالضبط لان التطابق بيننا يزيل الفوارق .. وبزوالها .. ستذوب حتما كل الحزازات القائمة فى وجه وئامنا المنشود .
رأيت أن أذكر هذا لاننى احس ان التغيير الذى اصابنى قد بلغ أشده .
اتمنى فقط .. ان يزداد وعيى بمرور الايام ..

وان لا تتسبب الاشياء الكثيرة المضافة لتكويني في نسف قنوات الفهم عن هذه المادة التي ما فتئت أفكر بها .

صحيح .. لم اكن في الماضي افكر هكذا .. كان تفكيري بطريقة اخـرى .. أشمـل .

لكنني اصبحت اشعر منذ مدة ان جل افكاري تنحصر في مكـان واحـد .. يؤلمني احيانا من فرط التركيز .. فأتوقف عن ذلك .. وانام ..

تفكيري بالحواس لم يكن ليعرف الارهاق ولا النـوم .

لست ادري لماذا .. ولكنها الحقيقـة ! ..

اما الآن .. فقد تغيرت الاشيـاء .

شيء واحد يعجبني في النوم .. ذلك الاحساس الغريب .

انه بحفيف اوراقه واجنحته وشفافية الوانه .. يشبه تلك الاجواء السحرية التي كنت احيا فيهـا .

النوم وضع غريب فعـلا . انه لحظة هروب عذبـة .

لكن يبدو ان عذوبته تزداد كلما كان بلا بداية ولا نهاية .. أي رحلة حرة في اللاظـرف ..

ان النوم الواعي هو بذرة الوجود . وهو المهد الاول لكل افكار الخلق .

ان من لا يعرف هذا .. لم يذق ابدا .. طعم الحرية المطلقة .. ومعانقة الجمال الخـالـص .

حسب ما لدى الآن من معطيات .. يبدو لي .. ان العالم الذي سأعيش فيـه تجربتي الثانية .. هو عالم غريب ومؤلم جدا .

لذا .. فمن الضروري .. ان اتدرب على النوم الواعي .. حـتى لا يهـرب الطريق من تحت قدمي .. وانا ابحث عن نافذة الخلاص .

قلـت ذلـك ..

ونسيـت كـل شيء ..

ونمـت مفكـرا .

البشيـر التلمـودي

ويعود المهرجان بلا وجه

شعر: سمير الخياري

نفرت من هودج الشدو
وجاءت لتغني
دون صوتٍ
صوتها اليوم ترهّلْ
مُذ تعدّاها فتاها
عانق الفجر وتاها
وبكته لحظة إذ نسيته
وهو يحيا بهواها

* * *

وجهه غاب ولكن
صوته ما زال يجري في مداها
نفرت منه وجاءت
ذات عيد
بسمة دون ضياءْ
خمرة دون انتشاءْ
وردة دون شذاء

* * *

من رأى الوردة إذ تنسى
شذاها ؟

نفرت منه وفى القلب احتواها

صحت فيها : — أين يوسفُ ؟

أين من ناديت يوما : — يا حبيبي

هل نسيت العهد أم أنسوك فيه ؟

فتية الحي .. أضاعوه أخاهم

فهنا يعقوب يبكي ... ينتظرْ

فمه ذعرٌ وعيناه حفرْ

جاب ركح المهرجانْ (*)

ثم قالْ :

— «أحرقوا نهديك آهْ

استحي يا امرأة تنسى العزيزْ

فرحٌ من غير يوسفْ

ضجة تعلو .. أزيزْ » .

ومضى . قالوا — : اندثرْ

فمه ذعر وعيناه حفرْ

سمير الخياري

(*) نظمت منزل تميم فى الذكرى الاولى لوفاة شحرور الخضراء : يوسف التميمى مهرجانا أطلقت عليه اسم : «مهرجان يوسف التميمى للاغنية الحديثة» ثم فى الذكرى الثانية كنا ننتظر الدورة الثانية للمهرجان نفسه ولكن : نفاجأ بانطلاق المهرجان تحت اسم : «الدورة الثانية للمهرجان الصيفى بمنزل تميم» ونحن لا نتساءل : أين الدورة الاولى للمهرجان الصيفى ؟ بل نتساءل : أين الدورة الثانية لمهرجان يوسف التميمى للاغنية العربية الحديثه ..

كفاح الحداد السياسي والنقابي

بقلم: محمد أنور بوسنينه

(*) — 2 —

— اشرنا آنفا الى ان الحداد لاحظ بأن « الحركة السياسية وحدها لا تكفي لافهام الحكومة ما يطلبه الشعب » ، ونواصل ذكر ما لاحظه الحداد في هذا الجانب بقوله :

« ... لقد اخذ هذا الاستعداد ينمو كل يوم في البلاد ، وصار حديثا منتشرا بين الجماعات سنة 1924 ، فجاء في غرتها السيد محمد علي ، ذلك الذى يعرفه اليوم مواطنوه قادما من برلين بعد التحصيل من كليتها على الشهادة في علوم الاقتصاد السياسي اثر الامتحان الذى كان في 22 فيفرى 1924 ، كما حدثنا بذلك هو نفسه ، فلنتأمل في النتائج والاعمال التي كانت عند وجوده ... »

ثم جعل الحداد عنوانا للحديث التالي : — جمعية التعاون الاقتصادي التونسي — « من يوم جاء محمد علي ونحن نتفاوض ونبحث عن عمل اقتصادى عام الفائدة يكون لاستعداد الامة في ماليتها وأفكارها ... » (15)

— ومن هذه الاشارة العابرة يمكن لنا ان ننطلق الى الباب الثاني من هذه الدراسة وأعني كفاح الحداد النقابي ، ونشير في البدء الى أنه مسبوق بنضال الاجتماعي من أجل تغيير المفاهيم ، والحرص الدائم على اعتبار مبدا العمل

(*) انظر « الفكر » ع : 9 — س : 31 — جوان 1986 .

(15) العمال — ص 33 — مع الملاحظ وأن محمد علي زار تونس صائفة سنة 1923 وهو طالب ومر من العاصمة الى البلدان التي في طريقه الى « عول الأعراض » سابقا حيث يقيم أهله بحامة قابس .

الاجتماعي التضامني هو المصدر والاساس لكل نهضة وتقدم ، ووجد الحداد في محمد علي الرجل المتحمس والمندفع الاندفاع الكلي بافكار ربما سابقة لاوانها بالنسبة لطاقة الشعب وامكانياته اعتبارا لذاك الظرف .

يقول الحداد عن محمد علي :

« لقد جاءنا لاول مرة بافكار لا تتسع لهـا البلاد ، فارتأى تأسيس شركات تعاونية زراعية وصناعية وتجارية ومالية في أهـم نقط المملكـة ، يكون على رأسها الشبان الوطنيون الذين يتفقون في روح الاخلاص والغـاية ليمكـن تحضير هذه الجمعيات بقوة نموها التدريجي الى الانضمام لبعضها فتشكـل ادارة عامة تنظر في التوازن العام بينها ، وتسيرها لغاية متفقة ، فلاحظنا لـه أنه ربما كان يقرر بذلك حلما من أحلام الفلاسفة بالنسبة للوسط الذي نحن فيه ، وربما كان غيابه خمس عشرة سنة عنه حجبه عن تقدير طوقـه اليـوم فظن أن الامة انتقلت فيها الى تأسيس ما يقرر في مرة واحدة ، فان المفكرين قليل ، ومع قلتهم فالاخلاص أقل منهم ، فلم يأخذ ذلك منه الا بعد أن احتك بطبقات مختلفة ، وزار جمعيات العاصمة فأخذت أفكـاره تعتدل في تقديـر حقيقة الحالة ، وانتهى الامر الى تأسيس جمعية التعاون الاقتصادي التونسي لتتناول في بدئها التجارة فقط في المعاش وحاجات المنازل اذ يلزم للصناعة والزراعة رأس مال أكثر مما يلزم للتجارة في البدء . والمعاش يتناول عموم الطبقات خصوصا العمال الذين كنا ننظر اليهم في المشروع بصفـة خـاصة ولأجلهم تقريبا كان المشروع اذ كانوا هم الذين لضعفهـم يتـألمون من غـلاء المعاش واحتكـار أسـواق التجـارة له وبهـذه الملاحظـات تـم الاتفـاق على المشـروع » (16) .

ـ من خلال هذه الاسطر نتبين مدى فكر الحداد الثاقب وتبصره بالامور . وارتأى بانه يجب السير في مثل هذه الاعمال عن روية وبعد نظر ، واعتبار الواقع بدون عاطفة جامحة وخيال مجنح . إنه كان في طليعـة المؤثـرين على محمد علي ووجوب العمل بوعي وادراك ومسايرة الحال والامكانيات الفكرية والبشرية التي عليها الشعب التونسي في مطلع هذا القرن ، وانتهى الامر الى اعتبار السعي بالتدرج المبني على الواقع والظرف والمحيط كي تكون النتائج

---

(16) المصدر السابق ـ ص 33 ـ 34 .

ذات نفع على العموم . ولزيادة التعرف على أهداف هذه الجمعية يمكن الرجوع الى الخطاب الذى ألقاه الحداد يوم التأسيس بقاعة الخلدونية بتاريخ 29 جوان 1924 وقد أدرجه ضمن كتابه : « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » ص 35 وكذلك خطابى الطاهر صفر والمؤسس الاول للمشروع محمد علي .

ـ وهنا نصل الى المنعرج الثانى والهام فى حياة الطاهر الحداد ومحمد علي ، بل وفى تاريخ البلاد كلها حيث يؤرخ الحداد بنفسه التحول من العمل الاجتماعى الى العمل النقابى وبعد بضعة أيام قليلة فقط حيث « تم فى جلسة يوم 6 جويلية من نفس السنة المفاوضة فى القانون الاساسى للجمعية وتمت المصادقة عليه وانتخاب لجنة وقتية لقبول الاسهم وضبطها الى أن يتحصل على ما يكفي لابتداء العمل ، فاخذ الحاضرون فى امضاء أوراق الاسهم ، وكان ذلك الاجتماع فى مسرح ابن كاملة صاحب المحل الذى تطوع بفتحه للاجتماع ، ومن ثم طبع القانون الاساسى ووزع على المساهمين وغيرهم ، وأخذت اللجنة المنتخبة برئاسة محمد علي تعقد الاجتماعات المتوالية فى كامل جهات العاصمة لبث دعوتها ونشر أوراق الالتزام بالاسهم بين العملة والمحترفين الصفار... ويواصل الحداد قوله :

« ولقد خطا المشروع فى الدعاية له خطوة كبيرة وكاد أن يصل دور انجاز العمل لولا ما اعترض ذلك من حدوث اعتصاب برصيف العاصمة كان مبدأ لتاريخ جديد لعمال المملكة التونسية تأسست فيه عدة نقابات فى بعض مدنها ذات الأرصفة البحرية ، وقامت على ذلك التأسيس جمعية عامة هى : جامعة عموم العملة التونسية » (17) .

وهكذا كانت الصحوة عامة والتحرك شاملا وبدأ العمل فى الانسلاخ من اتحاد النقابات الفرنسية C.G.T والجامعة العامة للعمل الموحد (C.G.T.U) ذات النزعة الشيوعية ، حيث لم يتحصل العمال على اى نفع يذكر ؛ وازدادت الحالة سوءا بارتفاع الاسعار ، وامعان المستعمر فى الميز بين العامل التونسى ونظيره الاوربى ؛ وتم اعتصاب عملة رصيف العاصمة فى أوت 1924 ثم تلاه اعتصاب عملة رصيف بنزرت وعمال معمل الآجر بمنزل جميل وعملة مرسى بنزرت وعملة جبل خروبة وعملة عربات النقل بسيدى احمد ، وكان من نتيجة التصادم مع المستعمر استشهاد العربى بن أحمد الكومى ، ومبروك بن محمد الداهش الذى اشتهر ببنزرت باسم يوسف المالطى ، وفى خضم هذا الصراع

---

(17) المصدر السابق ـ ص 44 .

الدموي كان التأييد العمالي جماعيا من أرجاء البلاد ، وانبرت الصحف الموالية للمستعمر تناهض هذا التحرك وترمي العمال برغبة التشويش وإثارة الفتنة فى حين كان محمد علي ورفاقه وفى مقدمتهم الطاهر الحداد يولــون للحــال أهميته ، وطفق محمد علي يتجول فى انحاء البلاد قصد توعية العمال وتأسيس النقابات وتشكلت أول نقابة لعملة الرصيف بتونس العاصمة بعد استشارة النقيب محمد علي وتزكيته لانشائها مستقلة ومعاضدته لها معاضدة مطلقة ؛ وتلتها نقابات بنزرت وأحوازها ، وفى مناطق أخرى من البــلاد كصفــاقس نقابة عمال شركة صفاقس قفصة 17 نوفمبر 1924 ، بعد اتصال محمد علي بهم مباشرة ومخاطبتهم مباشرة وكذلك عملة الرصيف بنفس المدينة ؛ وما أن كان يوم الثالث من شهر ديسمبر 1924 حتى تم الاعلان عن جامعة عموم العملة التونسيــة وانتخاب اللجنــة التنفيذية الوقتيــة المتركبة من الكاتب العــام : محمد علي ـ الكاتب المعاون : ابراهيم بن عمــر ـ أمين مال : محمد قدور ـ أمين مال مساعد : البشير الجــودى ـ الدعاية : المختار العيارى ـ محمــود الكبادي ـ محمد الغنوشي ـ الطاهر الحداد .

ـ هذا والملاحظ أن الحداد حين حديثه عن التأسيس أشار بتواضع أنه حين قصد الاجتماع كان ذلك منه « بصفة حبيب للاعضاء ومساند للحركة عن بعد لا عن مباشرة فكان من الغريب الفجائى أنهــم ألزمــونى بقبــول العضــوية للدعاية بالجامعة فكان لى من ذلك أعظم شرف عساننى أن أقــوم لــه ببعض الــواجب » (18) .

ـ ثم كانت رحلة محمد علي الموفقة الى قفصــة والمتلــوى بعد أن لاقى فى أثنائها العنت والتصلب من طرف السلطات الاستعمارية رفقة عضده محمد الجيارى ولا فائدة فى الاطناب عن هذه الرحلة وقد فصل الحداد القول عنهــا فى كتابه العمال (انظر صفحة 147) .

ـ ثم تتالت حملات الصحافة الاستعمارية على النقيب وأعضاده ، وحاولت بكل الوسائل إلصاق تهمة التشويش والتحريض على زعزعة الامن بالبــلاد وكان اللقاء مع مدير البوليس « كمبانا » والذى دارت بينه وبين محمد علي مشادة كلامية سجلها الحداد بحذافيرها فــى كتاب العمال ومن قــول المديــر مخاطبا محمد علي :

---

(18) العمال ـ ص 126 .

« ... يلزم أن تفهموا أن فرنسا هي كل شيء هنا وشاعرة بكل شيء أيضا فمن المستحيل أن تسمح بوجود مؤسسات هي في الحقيقة مناورات سياسية تتجه لمصادرة النفوذ الفرنسي ... » (19) .

ـ ثم تتوالى الايام بسرعة ، ويقوم عمال مقاطع الحجر والجير والسيمان بحمام الانف باعتصاب دام عدة أيام آل في النهاية الى سجن أعضاء النقابة ومندوب الجامعة الطاهر بن سالم مع الابعاد ، وكانت المحاكمة يوم 28 مارس 1925 وفي الاثناء كانت الضربات قاصمة على جامعة عموم العملة حيث بلغ الصراع أوجه بمعاضدة الكاتب العام الفرنسي « لوسيان سان » الذي كان يراسل الخارجية الفرنسية ويمهد للقضاء على حركة محمد علي وما كان يوم 5 فيفري 1925 حتى تم إيقاف محمد علي والمختار العياري بالسجن المدني ، ثم فندوري بتهمة المؤامرة ضد أمن الدولة الداخلي ؛ وفي اليوم السابع من نفس الشهر ألحق بهم محمود الكبادي ومحمد الغنوشي وعلي القروي وقد حوكموا جميعا يوم الخميس 12 نوفمبر 1925 وتواصلت المحاكمة خمسة أيام ، وصدرت الاحكام الجائرة عليهم بالنفي والابعاد عن أرض الوطن ...

ـ وان ما زاد في معاضدة المستعمر للوقوف مثل هذا الموقف المشين تخاذل الاحزاب في الساحة وفي مقدمتها الحزب الحر الدستوري القديم حيث أمضى ممثلوه على وثيقة تمثل وصمة عار دائمة ، وفيها تبرؤ من نشاط محمد علي ومن المنهج الذي سلكه ، وكان من الممضين محيي الدين القليبي وأحمد توفيق المدني .

ـ إن ما دفع الحداد الى إثبات تاريخ الحركة العمالية في كتابه هو هذا الشعور بالخيبة في النهاية ، وعدم الرجاء فيمن كان يأمل منهم الخير للوطن والوقوف بجانبه في الملمات وأثناء اشتداد الازمة ، ثم أيضا هذا الشعور القوي بقيمة الانسان كذات لها حق الوجود المكتسب جبلة وبدون هبة .

ـ ولقد فصل الحداد القول بفكر ثاقب وادراك بصير ، ونثر في ثنايا كتاب العمال حقائق يجب الاهتمام بها بتمعن وتدقيق نظر ، قصد الوصول الى النتائج التي آلت في نهاية الامر وبالا على الشعب وانكسارا لمسيرته ، وبعد أن تعرض هو ذاته شخصيا لأقصى أنواع الاهانات والسب والشتم من طرف الحثالة والمأجورين ... فما كانت المعركة إثر نشره لكتاب « امرأتنا في

---

(19) المصدر السابق ـ ص 161 .

الشريعة والمجتمع»(20) وما تحزب القوم ضده الا امتداد لمعركة من أجل الوقوف ضد الحداد شخصيا ومقاومته بكل الوسائل ، والا فلم لم يتحرك أحد من قبل حينما كان ينشر مقالاته حول المرأة وتحررها ؛ ألم تكن تلك المقالات قد نشرت بتاريخ 17 أوت 1928 بجريدة الصواب ، وبنفس الصحيفة بتاريخ 31 أوت 1928 و 14 سبتمبر 1928 و 28 سبتمبر 1928 وغيرها من المقالات المتتالية وقد ضمنها كتابه المذكور ، لكن هذا موضوع آخر ودراسة تتطلب الوقوف أمامها طويلا في مجال آخر أيضا .

— لقد ذكر الحداد من حين شرع في تحبير كتابه « العمال » شعوره بوجوب النظر في هذه العلاقة بين رأس المال والعمل ، ولاحظ أن الانسان بفضل قوة العقل فيه استطاع أن يتميز عن الحيوان في أكله ومعاشه وأضحى ساعيا بالتدرج الى تحسين الانتاج الطبيعي ، فأصبح يعمل في الارض للتمكن مما هو في حاجة اليه من خيراتها ، وهكذا شعر بوجوب استعمال آلات من أجل تحسين الانتاج وتوفيره ، واعتبر هذه الآلات رأس مال العمل ، وتولدت عن هذه الآلات الصناعة وأضحى لها الدور الثاني في الانتاج ، ومنها تولد الشعور الانساني العام والاحساس المطلق بالحاجة الى التآزر والتضامن بين الجماعات من أجل تجزئة العمل كي يتم لكل فرد ما هو في حاجة اليه . وهكذا ونتيجة تجدد تلك الجماعات المشتتة تتعاون على الانتاج ، وتتخذ سبيل التبادل فيما بينها ، فنشأت من هذا السلوك شعوب تقاربت وتعارفت بفضل التطور وما سمح به العلم من ايجاد وسائل المواصلات التي قربت بين الأمم ...

— ويلاحظ الحداد حين بدء تفكيره في مشكلة العمل والانتاج أن روح التقارب والتعاون انقلب شرا ونهما ومؤامرة من البعض على البعض الآخر بدعوى التفوق الجسمي والعقلي ، وفي النهاية فالانسان كثير الشره عظيم الطموح بعد أن تتوفر لديه حاجاته الضرورية ، خصوصا اذا ما أصابه العجب بنفسه وبحبه المطلق لها .

— ويمضي الطاهر الحداد في تحليله العميق لناحية نشوء فكرة التملك ، واعتبر أن تفاوت أفراد الانسان قوة وضعفا في العقل والجسم شيء لا مفر منه ، ملاحظا أن : « للمنبت والعوارض الطارئة بالصدفة وجيوش الامراض واختلاف تأثيرها وانتقالها بالوراثة أثر ظاهر في هذا التفاوت المحسوس الذي لا يمنعه الاتحاد في أصل الحقيقة ، وأيضا فان التمارين في الاعمال النظرية

---

(20) « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » — الطبعة الاولى 1930 — المطبعة الفنية — تونس .

التى تتفق لبعض الانسان باستعداده وكسبه ، وانتقالها بالتعليم الى طبقة أخرى لما يزيد هذا التفاوت نموا » المقدمة ص 4 .

ـ ومن هنا لاحظ الحداد أن الانسان الضعيف يشعر بميزة الاقوياء عقلا وجسما : « فسلم لهم السيادة عليه ، خصوصا حينما كان معرضا لخطر الوحوش الكاسرة التى كان يعيش معها على صعيد واحد ، فوضع هؤلاء أيديهم على منبع الانتاج » المقدمة ص 4 .

ـ إن الارض ما كانت قبل مجيء الانسان ملكا لأحد ، وحينما أتاها تعاون على انتاج ما يحتاجه منها ، وهكذا أضحت أول يد خاصة عليها من أجل التملك بلا بيع حيث انه من غير المعقول أن يبيع الكل مرتزقهم ، فى حين انهم يوفرون منه ما هم فى حاجة اليه بالتعاون وما دامت الاجيال الموالية لها حق فيه .

ـ لقد لاحظ الحداد مادية الانسان المطلقة منذ النشوء الانسانى : « تعاون الانسان لانتاج حاجته فلما شعر بضعف أخيه نفذ منه الى حيازة مرتزقه بدعوى التفوق عليه عقلا وجسما » المقدمة ص 4 .

ـ ولولا أنانية الانسان منذ القديم وحبه المطلق لنفسه وحرصه على الجمع والمنع ، وعبادة المادة لما تم افتكاك الحق المشاع والمشترك بين الجميع ولما ذهب حق الجماعة لفرد واحد فقط .

ـ إن الحرص على المادة لو كان فيه اعتدال لتمكن كل شخص من نصيبه من المنتجات مناسبا لانتاجه الأوفر من غيره .

ـ لقد تطور مبدأ استثمار الغير منذ القديم الى العصور الحديثة من حين استثمار الجماعة للعمل فى الحقل والبستان مقابل الغذاء البسيط والكل قانع راض بضعفه وجهله وحتى فى عصور التحول والنهضة الصناعية بقي استنزاف مجهودات العمال وعرق جباههم واستثمارهم الى أقصى حدود الاستثمار ، كل ذلك بتزكية الحكومات وضغوطها ، وهكذا تواصل رق العمال واستعبادهم سواء فى المزارع أو المصانع والمتاجر محكومين من طرف أصحاب العمل ...

ـ إن نهضة أوربا العلمية الاقتصادية حسب رأى الحداد حالت دون تواصل العمل الفردى بصناعات صغيرة وفى استقالية تامة ؛ غير أن رأس المال دفعهم لان يصبحوا مسخرين عملة فى المعامل والمناجم أضف الى هذا امكانيات ترويج السلع والمنتوجات للامم الاخرى المستضعفة بفضل المعاهدات ووسائل النقل السريعة ونتيجة لمبدا « الاستئثار بالمنفعة طبق قاعدة الحيازة » أقامت الدول الاوربية عديد المؤتمرات قصد تعديل قسمة البلاد الشرقية والافـريقية كل على قدر قوته واحتياجه منعا للحروب وفصلا للنزاعات القائمة .

ـ ونتيجة هذا التزاحم قامت وستقوم حروب ضارية ضد الانسان ، وبدأ التفكير فى التوفير من مصاريف الانتـاج حتى تكـون هنـاك مـزاحمة فى الترويج ، ووقع التنقيص من أجور العملة فكان الغبن والقهر والضيم واذ لم يجد القوم قديما من حكومات رأس المال رحمة فقد وجـدوا فى الاديـان أو رجالها ما يخفف عنهم وطأة الحمل ... إن كل محاولات التهدئة والتخفيف من المصاب لم يجد نفعا ، وانغمست الانسانية فى بؤرة الصفات الذميمة والافعال الخسيسة ، من نفاق وكذب ولصوصية حتى أضحى هذا صناعة للكسب وعم هذا الجو ، وخيم عبر الاعصر والدهور وأنكر العلماء الصالحـون مثـل هـذا السلوك لكنهم لم يحتكوا بطبقات العمال لترشيدهم وتبصيرهم وبقي الامر على حاله طيلـة قرون الى أن فاضت الحـوادث فيضانا كان مصدره البـلاد الاوربية ...

ـ هكذا كان تحليل الحداد الدقيق ، وهكذا كانت فلسفتـه ونظـرته الى الانسان ورغبته عن صدق واخلاص كى يتملص من قيود الدهور ويسعى الى اكتساب رزقه فى كنف الحرية والانعتاق والشعور بالكرامة الانسـانية التى لا قيمة للحياة بدونها ...

ـ وبالجملة فاذا كان كتاب الحداد كمـا يظـن البعض تاريخـا للحـركة العمالية ، فانه بامعان النظر سجل لنظرة الحداد للحياة والكون ، ومدى تفاعل الانسان فى هذا الوجود وتناغمه معه ، وهو ايضا يمثل صرحا من صروح جهاده من أجل إنارة العقول وتحريك سواكن من لا يتعظ بالعبر والاحداث .

ـ ويبقى سؤال حول دور الحداد بعد نفي رفاقه ويجيب الدرعي عنه بقوله : « على إثر ايقاف محمد علي اجتمع النقابيون التونسيون لتعيين خلف له فوقع اختيارهم على الحداد الذى لم يتمكن من العمل لما قامت حوله من الدسائس ،

ولما دخل من الضعف فى صفوف العملة ، حتى انحلت الجامعة ولم يبق منها الا التاريخ الذى كتبه لها الحداد ... » (21) .

ــ أخيرا تلك هى بعض الملامح عن كفاح الحداد السياسى والنقابى وتلك بعض الصور الناطقة حول جهده وبذله وتضحيته فكرا وعملا من أجل وضع اللبنات الاولى لبناء تونس الجديدة التى أحبها وأخلص لها ومات شهيدا من أجلها .

حول ببليوغرافيا الطاهر الحداد

لقد لاحظت نقصا فى ادراج بعض الكتب أو المقالات التى نشرت حول الحداد بالببليوغرافيا التى صدرت عن دار الكتب الوطنية ، مصلحة النشر والايداع الشرعى (*) ومع الشكر سلفا للمجهود المبذول فانى أضيف فى عجالة وانتهازا لحسينية الحداد بعض ما وقع السهو عنه :

ــ فى باب الكتب المفردة :

1) كتاب : الجنس اللطيف

عز الدين بلحاج ــ مطبعة الاتحاد ــ تونس 1355 ــ 1936 .

2) كتاب : الطاهر الحداد ــ حياته وتراثه .

الجيلانى بلحاج يحيى ومحمد المرزوقى ــ طبعتان ــ طبع دار بوسلامة للطباعة والنشر ــ تونس .

3) كتاب : الطاهر الحداد ــ سلسلة طرائف الادب العربى. د.جعفر ماجد.

إشراف الاستاذ عبد الوهاب بكير ــ الشركة التونسية للتوزيع . 1979

---

(21) حياة الحداد للدرعي ــ ص 116 ــ مع الملاحظ وأن للدرعي أيضا كتابا آخر بعنوان : « دفاعا عن الحداد » ــ تحقيق وتقديم كاتب المقال ــ نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ــ تونس 1976 .

(*) نشرت الببليوغرافيا المذكورة بمجلة «الحياة الثقافية» ــ العدد 36 ــ جانفى 1986 ــ بتونس .

ـ فى باب المقالات :

1) محمد أنور بوسنينه :

فى الذكرى الواحدة والاربعين لوفاة الطاهر الحداد ـ مع الملاحظ ان المقال المدرج بالببليوغرافيا تحت رقم 93 هو لكاتب هذه الاسطر وهو بعنوان : « إيمان الحداد ونظرته للاسلام والحياة ـ أثبت بجريدة « الصباح » فى 7 ديسمبر 1975 .

2) محمد أنور بوسنينه :

على هامش كتاب : دفاعا عن الحداد ـ للحقيقة والتاريخ ـ جريدة « الصباح » 9 أفريل 1977 .

3) محمد أنور بوسنينه :

آراء حول كتاب : الطاهر الحداد ـ للدكتور جعفر ماجد ـ جريدة « الصباح » الاربعاء 12 مارس 1980 .

4) محمد أنور بوسنينه :

فى الذكرى الخامسة والاربعين لوفاة المصلح الطاهر الحداد 1899 ـ 1935 الاجتهاد فى الاسلام وموقف الحداد منه ـ مجلة « الفكر » ـ السنة 26 ـ العدد 5 ـ فيفرى 1981 .

5) محمد أنور بوسنينه :

العائلة والامة والرؤية المستقبلية عند الطاهر الحداد ـ جريدة « العمل » ـ الجمعة 27 فيفرى 1981 .

وفى مناسبة لاحقة نضيف ما أمكن لنا الاطلاع عليه ولم يدرج بالببليوغرافيا المشار اليها .

محمد أنور بوسنينه

الزمان حين لا يجيء

شعر: أحمد سويلم

يأتي زمانٌ .. ينطق الحجرْ ..
يقول : — من أمامي اللص
وخلف ذلك الجدار يكمن الخطرْ
أتي زمانٌ .. نستعيد لحظة الانشادْ
تصدق النبوءة القديمة
ونصحب الشمس إلى عيون
الحلم والميلادْ
ننتظر الزمان .. لا يجيء
نستنطق الأحجار والجدْران .. لا
تبوحْ
اليوم يا رفاقْ ..
همت الفلك ..
تقلّ موكب العروس والمهنئين ..
— ما احتواها الماء —
— وما حداها الحلم والرجاء
بكت بها العروس .. مزقت مفاتن
الفرحة
أسدلت ملابس الحدادْ
لكنما المهنئون .. يشربون ..
في صحة الحصار .. والزمان — حين
لا يجيءُ —

* * *

خدعونا .. بقولهم : حسناءُ
كثُرت في غرامها الاسماء
عبقر أرضُها .. عريق ثراها
ساحر شطها .. خلودٌ .. بقاءُ
سائلوها عن صمتها وتعالوا
نكسر الصمت .. أيها الشعراءُ.

* * *

قلنا عن موت الكلمات حكايات
وقصائدْ

أنكرنا زيف الكلمات .. وكذْبَ
الألسن
لكنَّ الأقوال لها في الصدق مواسم
– لا تأتي كلَّ أوان .. عفو الخاطر
– يا وطني الراعشَ في قلب القلبِ
يا لون الحب ..
أتمنى لو نملك أن نشدوَ شعرا
أو نتحدثْ
لنحدِّثْ عن جرحك في أيدينا ..
لنسائل : أين ملامحك الأولى ؟
بين خطوط العرض .؟
وبين خطوط الطول .؟
أين يداك القابضتان على الشمس إذا
طلعت ؟
وإذا غربت في قلب الماءِ .؟
وقلبك يا وطني في الصحراءِ ..
يئن أنين الموت
تتسرب منه كل نبوءات الأمس
– لا نعرف يا وطني لهواك مواسم
لكن نتوعد صبحَ مساء ..
نغمس وجهك في نار الرغبات
حتى يحلوَ طعمك في أفواه الجوعى
واللقطاء

* * *

خدعونا بقولهم : وطن الحب ..
وحلم العيون والأطفال
وأدرْنا ظهُورَنَا نقضم الخُبْـزَ ..
ونرضى بطعنة .. ونكال
هبط الليل .. دقَّ بابك حتى انهمر
الملح من عيون الرجال

* * *

– أسأل : من قاتلنا ؟
من يُقتل منا قبل الآخر ... ؟
من يحيي شجرات الأرز .. ومن
يسقي غرس الليمون ؟
أسأل : من يسمع صوتا يصرخ
في البريهْ ؟
– كان يبايع يوما فيها ملك
الشعر ؟
– كان تحدى ليل القهر ؟
أسأل : من يُسقط قطب الوطن
السالب ؟
والأوراق الجوفاءْ ؟
أسأل عن جرح الوطن النازف في
الصحراءْ
لا وقت لدينا الآنَ ..
نحدق في الشمس أو القمر . الألوان
أو ننحت كدا قلب الأرضِ

ووجه الإنسانْ ..
هذا عصر لا يغفر أن يُلقى بالوطنْ
إلى جُب النسيان
لا يغفر أن ينتظر الشعراء
حتى يُفصل في أمر أمير الشعراء ..
الموقوفين على ناصية الدرب دراويش
غناء
والوطن النازف في الصحراء ..
يشرب من صحته الغرباء ..

* * *

يقف الخلق يسألون جميعا : ؟كيف
يلهو في أرضنا .. غرباءُ ؟
أمن العدل أنهم يسلبون الأرض منا ؟
وتحتوينا السمـاء ؟
أمن العدل أنهم يذبحون الأمس واليوم
.. والمنى .. كيف شاءوا ؟
أيُّ وجه هذا الذي فقد الماء ولم
يستعر عليه الحياء ؟

لم يقدِّر مماتنا الله حتى يرث الشرق
بيننا لقطاءُ ؟
أيُّ شعر هذا الذي نكتب اليوم ؟
أيرضى بشعرنا الشهداءُ ؟
أي شيء نقول لو يسأل الآباء عنا ..؟
أو يسأل اليتماءُ ؟
فُجع الشعر ؟ أم تراه سعيدا إذ تولى
قيادهُ الأمراءُ ؟
أشظايا الأجساد تصلح أن تهدى
وساما ؟ أم أنها جوفاءُ ؟
أرمال حمراء تغدو عقيقا ؟
تتثنى بسحرها حسناءُ ؟
أم صراخ الأطفال يصلح لحنا يتغنى
بحسنه الندماءُ ؟
نحن نجتاز موقفا
تعثَّر الآراء فيه وتكثر الأهواءُ ..
أسأل الآن والسؤال قديمٌ :
ـ أين أنتم يا أيها الشعراءُ !؟

احمد سويلم
(القاهرة)

صَوْتُ المرأة المسْكُونَة بالعِشق

بقلم : حُسيني سيد لبيب
(القاهرة)

ـ 2 ـ (*)

رعشــة حلــم :

قد يخدعنا صوت الانثى فى كتابات نعيمة الصيد ، وهى تتغنى بالعشق واللذة . قد يخدعنا التحـرر والعرى والبوح والافاضـة حتى تصف عشقهـا بالجنون والادمان .. قد يغرينا ذلك ويسلينا ، ولكنه فى رأيى يكشف غموض المرأة ، التى تنتقل من النقيض الى النقيض . فقد أشقاها بـؤس المرأة أمـام سلطان الرجل واستبداده ، فبدأت تتحدى وتبرز كانثى ، كامـرأة لها حقهـا الكامل فى البوح بعشقها ، والا تخجل من تباريح العشق والهوى . ولكن من يعيد القراءة لكتابات نعيمة الصيد ، يقف على سر يستشفه كامنـا وراء هـذا التصريح بعشق الانثى لرجلها ، تمتعـه ويمتعهـا .. هذا السر ، أنهـا حين تمسك بالقلم ، تعبر عن ثورتها الداخليـة ضد الزيف والرياء ، وكما يتعرى الجسد ، فان النفس لا بد ان تتعرى وتعيش لحظات صدق ، صافيـة رائقة . وما عادت تجدينا اقنعة الطهر ومسـوح الرهبان ، نداری بهـا الوجه الآخر الخبىء بذواتنا . يأتينا صوت نعيمة الصيد خالصا ، نقيا ، وثائرا .

« جدتى تصيح فى داخلى ..
لا .. لا .. لا تستسلمـــى ..
الحب ليس عـارا ..
العار أن تكذبـــى ..
ذوبى فى عشقك ..
احتـرقـــى ..
خذى بشـارى .. لا .. لا تنافقى ..
يرق صوتها فى داخلى ...
يلين حتى يقترب من البكاء ...
لا ... لا تستسلمـــى ... » (16)

(*) انظر « الفكر » ع : 9 ـ س : 31 ـ جوان 1986 .
(15) المصدر السابق ـ ص 114 .
(16) رعشة حلم ـ الشركة التونسية للتوزيع 1982 ـ ص 32 .

أليست كلماتها ثورة ضد عفن القديم ، والتطلع الى حياة جديدة خالية من الكذب والنفاق . الجدة صورة عالقة بذهن الكاتبة ، عنوانا للاسر والمذلة وهوان العيش . يأتيها صوت الجدة وكأنها تتطلع الى حاضر أزهى وأنقى . أهى ثورة على ما فى القديم من سلبيات تخص المرأة بالدرجة الاولى ؟ . لهذا وقفت كاتبتنا تتحدى فى عناد ، من أرادوا تكبيل المرأة وتقييد حريتها . لكنها أرادتها حرية سافرة ، ان كان فى السفور كل الطهر والبراءة ولحظات الصدق الجميلة . لهذا تشمخ المرأة فى داخلها ، وتتحدى من أعلنوا هزيمتها ، تصيح :

« اقف عارية •• جسدى بركان
نار ••
قلعة تشب فيها الحرائق ••
يمتد لهيب النار فى جوانبها ••
فى دروبها •••
فى أصوات الظلم المختبئة ••
وراء عيون الطهر المزعوم ••
فى عيون يحركها المكر .. (17)

أجمل ما فى الاديب أنه يمتلك قلب طفل . وان لم يمتلكه ، فقد عنصر الابداع والخلق الفنى .

« أقف عارية » . العرى هنا ، يعنى كشف النفس ، باطن النفس ، فتبوح بالظلم المتستر وراء الطهر المزعوم والمكر . فالعرى هنا ليس عريا جسديا قدر ما هو عرى النفس . وأقسى ما يعانيه الانسان منذ خلقه والى أن تنتهى الساعة ، اضطراره أو ارغامه على ستر اساريره وكبت أحاسيسه وقهر أمانيه . وعند المواجهة الصريحة ، والمكاشفة الواقعية لما بداخل النفس ، تسقط الاقنعة وتتبدى صورة الانسان فى صفائه ونقائه .

فى(رعشة حلم) ، تزخر المقطوعات الابداعية بالصور والاخيلة المجنحة التى تصور العشق ، أو تعبر عن الافكار بلغة العشق ، وابراز أحاسيس المرأة العاشقة لرجلها . حتى أنها أصبحت « امرأة مسكونة بالعشق » ، ويرد فى المقطوعات والخواطر كلمات من الجنون والحلم والرعشة ، وتأتينا الصيحة المدوية المتكررة بانها امرأة •• أنثى •• عاشقة •

---

(17) رعشة حلم – ص 34 .

في مقطوعة (رأسي يحتمي بمقصلة الجنون) ، نقرأ في أولها :

« قدمت من ألحان المطر ..
حقائبك مليئة بعناقيد النور ..
بمواويل اجنحة الشمس الخضر ..
فرغم خناجر النزيف الوثنية ..

أحسست بنار الميلاد ..
حين قبلتني برأفة ..
آه .. ما أروع عشقك ..
تكسو جسدي رعشة .. » (18)

بدأت المقطوعة بصورة ابداعية تعتمد على الابهار ، مازجة بين النغمة والكلمة ، فتقول عن عشيقها : « قدمت من ألحان المطر » ، وحقائبه « مليئة بعناقيد النور » ، « بمواويل أجنحة الشموس الخضر » . انها صورة خيالية ارتسمت في خيال الاديبة ، ولكنها لم تصل الى حد الاشباع بهذا الخيال ، لانها تقفز بنا في نقلة فجائية ، وتنتشلنا من حلم أخضر لم يكتمل بعد . واعترضت صورتها بقولها : « فرغم خناجر النزيف الوثنية » والفاء هنا ثقيلة ، علاوة على ثقل (رغم) . نصطدم بالمواجع . والتركيبة اللغوية في (خناجر النزيف الوثنية) ، ربما تعني تعدد تجارب الهوى للمرأة ، دون حب . حيث يمكن ان نعتبر معها أن تجربة العشق بين حبيبين يعني الايمان ، وتجارب الهوى للمرأة دون حب تعني الوثنية . فقاموس العشق الذى بين أيدينا يوحي بهذه المعاني . ثم تبارك تجربتها مع الذي أتى اليها بنار الميلاد ..

« آه .. ! ما أروع عشقك ..
تكسو جسدي رعشة ..
تندلع ناره حنينا ومسرة ..
يفوح العنبر .. يفيض عطره ..
تعترى داخلي ومضة ..

يستوعبك أفقي غيمة ..
ينبثق ماؤك في عروقي الميتة ..
يزغرد حاملا فوق كتفيه ..
ربيع أرضي المعطاء .. (19) .

في هذه السطور تعبر عن تجربة العشق ، وفرحة الجسد باللقاء . حيث الحنين والمسرة ، المنبعثة من نار الجسد وليس من أحاسيس النفس . ونكاد نشم العنبر والعطر . وتصور اللقاء على أنه ارتواء لارض عطشى جدباء ، حين أتاها الربيع حاملا معه الماء والعطر والضوء .

---

(18) المصدر السابق ـ ص 40 .
(19) رعشة حلم ـ ص 40 .

وتصــور البذرة التــى بدأت تنمو فــى جوفها ، وتسهر ، تنتظر الجنين الثمــرة .

« تبارك العصافير لحنك فيها ..
تغرس بذورك فى حتى النخاع ..
ينمو العوسج بحجم الكون ..
يكبر طيفك فى احشائى ...
يصير نطفة تسير الحنين ..
ترتـل سورة الحـب فـى عصرنـــا
العقيـــم ..
وأبقـــى ...
أبقـى ساهــرة فــى انتظـــار
الجنيـــن » (20)

العلاقة الجدلية قائمة بين ظهور النبتة الخضراء من الارض حيــن ترتوى بالماء ، وتتدفأ بالضوء . كذلــك نمو الجنين فــى رحم المــرأة يبدأ بلحظة عشق . انــه الاخصاب ، الظاهرة الكونيــة التى تدور بقانونهــا دورة الحياة للانسان والطير والحيوان والنبات . وقارىء مقطوعة (رأسى يحتمى بمقصلة الجنون) ، يجـد المزاوجة بين الرغبة الجامحة وعطش الارض . وكـذلــك تدور المجموعة الابداعية فــى نفس الفلك . وليس أدل علــى ذلك من قولها « فأنا يا شاعرى ... صفصافة ظامئة » ، وقولهــا : « وكل خلايــا جســدى مسكونة بنار العشق » . وهى المتحدثة عن « مقصلة العشق » و « ملكــوت الشهوة » . وفــى مقطوعتها (نزيـف الشفق) دعــوة محمومــة للقاء ، وقــد سافرت اليه مدفوعة لحنينها اليه .. « ويلفحنى طعم الوطن فى أريجك .. » .

تتميز التجربة الابداعية عند نعيمة الصيد بحــدة الصــوت المعبــر عــن نفسها كامــرأة ، وعاشقة ، وأنثــى . يتردد الصوت فى مجموعتهــا .. تقرأ مثـــلا :

« فأنا يا عاشقى ..
امرأة أثقل جفنى الحزن ..
أنا امرأة تحاصرنى العيون الملأى
بالزيــف ..
وكلمات القهر ترغو بالزبد الآثم مــن
حولى ..
لكن قلبــى ما زال يصرخ فــى وجــه
الريح .. الاعصار .. » (21)

انها تتحدى القهر والزيف ، وتجابــه الريح والاعصــار . وفى المقطوعــة التالية يتكرر نفس الصوت ، باصرار وتحد ، صوت المرأة القوية الصامدة :

---

(20) المصدر السابق ــ ص 40 ــ 41 .
(21) رعشة حلم ــ ص 14 .

أنا امرأة ... صفعت سنابل شوقي
للقاءات العيون الحالمة ...
وما ارتحت ...
أنا امرأة ما انحنت للرياح والعواصف
طواحين هوائي ...
رغم تعب قلبي .. رغم بحة صوتي ..
رغم جرحي المصلـوب على مقصلـة
الحب .. ذنبي ..
فاجفانـي لن تكل النوم على قارعـة
العشـــق ..
رغم مـا اراقوا على فخذي مـن مداد
القهـر ..
رغم انهم حاولوا ذبح صوتي ..
حتـى لا يفيض بيادر أحلام ترسـخ
في ذاكرة العشق ..
أنا امرأة اقتلعت مساميـرى ..
خنقت جلجل عذابي .. » (22)

انها امرأة ذات عزيمة فولاذية ، تجابه بها من تعمدوا قهرهـا وسجنها ، انها امرأة مكتملة قادرة على البوح ، وعلى العشق ، وعلى كشف الزيف . نقرأ أيضا تلك السطور عن الصمود :

« أنا امرأة ضربت بصمودي جمجمة
الصخـــر ..
وركضـت ..
ركضت امتداد السنين ..
امتـداد دمـــي ..
امتداد عمـــري ..
وانتهيت اخضرارا لفرحي ..
ازدهارا لوجـودي وصمودي » (23)

ولكن المرأة الصامدة الشامخة ، تواتيهـا لحظـات ضعـف كأنثـى أمام عشيقها ، فيتناهى الى مسامعنا الصوت الآخر للمرأة العاشقة :

« فانا يا حبي امرأة مثقلة بالوجد ..
أنا امـرأة تسكننـي شهـوة البـدء
للحظة الحاسمة » (24)
« فانا يا طفلي مـذ ولدت ..
مسكونة بنار الشهـوة والانتظار ..
أنتظر .. أنتظر موت الظل والنور معا
في حضنينا ..
انتظـــر .. » (25)

---

(22) المصدر السابق ـ ص 16 .
(23) رعشة حلم ـ ص 17 .
(24) المصدر السابق ـ ص 17 .
(25) ، (26) المصدر السابق ـ ص 30 .

وفى العشق ضعف ، تعبر عنه الاديبة بقولها :

« يا عمرى ..
انا امراة علقت عنقى بدروة
العشق ..
وتدليت ..

تدليت انتظر قدومك ذات مساء ..
تفك عنقى ..
تقص العنقود .. تمنحنى الحرية بعد
أن منحتنى الحياة .. » (26)

المرأة العاشقة تقول :

« يا عاشقى ..
انا امراة تجرفنى رغبة جامحة ..
لغرز اظافر جلدى ..

فى جدران الاسمنت ..
اثقب الدائرة المفرغة ..
فتطير اجنحة العشق المشتعلة (27)

وتدعو عشيقها ، دعوة صريحة الى فراشها ، حيث الفرح المضىء :

« يا عاشقى ..
انا امراة قدت من لغط الجن ..
فى عتمة الليل ..
ولحمى زغب عصافير ..
فرشته خضرة فوق سريرك ..
وفى عينيك ..
فتحته نافذة فرح مضيئة ..

ودمى مضغة فى فم الضوء ..
رسمته شجرة تنبت ثمار الفستق
فوق اهدابك ..
فاسكن المدارى القزحية ..
وتوضأ من ملح جلدى ..
قبل ان يغرقك الطوفان الابيض ..
ويستنزف لونك .. » (28)

صوت المرأة نسمعه قويا واثقا عندما تجابه المجتمع والناس ، ونسمعه ضعيفا مستجديا عندما تنادى من تحب وتهوى . وان كان فى مقطوعاتها بعض المعانى المبالغ فيها ، مثال ذلك : « دثرنى فجسدى يا صفيرى معجون بالرغبة يتقيأ بردا » ،وقولها : « هل هناك أنقى من الاغتسال بأمطار الخطيئة » و « أحلم بجسدى » ... شموعا للخطيئة والمجون ... »

تعريف آخر بنعيمة الصيد :

عندما زرت تونس عام 1984 ، حدثتنى نعيمة الصيد عن التجربة وعن المعاناة . فهى أديبة لا تكتب الا عندما تنضج لديها التجربة وتتبلور ، وتعبر

---

(27) المصدر السابق ـ ص 41 .
(28) رعشة حلم ـ ص 60

عنها بصدق وعاطفة . وركزت على ضرورة معاناة الاديب ، كـي يستطيع أن يكتب بصدق . وحدثتني عن اعجابها بكتابات يوسف ادريس ، رائد الواقعية في القصة القصيرة ، ولعلها أخذت منه تلك اللفتة الى شخصيـات ومجتمـع (قاع المدينة) (29) . وبلورت ذلـك فيما رأته من تناقضات فـي مجتمـع (المدينة) . لكنها نظرات عابرة ، فيها من الاسـف والحسرة أكثر ممـا فيها من انغماس في هذا الواقع ومعايشته . فهي تنظر الى مجتمع المدينة ـ كمـا سبق أن قلت ـ كمن ينظر من نافذة طائرة ، نظرة من بعيد ، فلا يقع البصر على تفاصيل ، انما هـي نظرة كلية شاملة . وهـي معتزة بعملها فـي مجلة (الفكر) التي أعطت لها عمرهـا ، على حد تعبيرها . كما أنها شديـدة الاعتزاز بانتمائهـا الـى مدينة القيـروان بثقلها التاريخـي والاسلامـي وقـد وضـح أثر ذلك فيما كتبتـه مـن مقطوعات عـن الاميرة الاغلبيـة المسكونة بنـار الدهشة ، المصهورة بالعشق . وعن (صهيـل المهـرة الاغلبيـة) . ولعـل أصدق وصف لنعيمة الصيد ما قاله الاستاذ محمد مزالي في تقديمه لمجموعة (رعشـة حلـــم) : « لهذا فان نعيمة الصيد بقيت قيروانية أغلبية عربيـة غارقة في بحر التاريخ خائفة من القبيلة والاسوار » (30) . وقولـه :

« لقد شعرت نعيمـة الصيد شعورا حادا بأنوثتهـا وتألمـت من رواسب المجتمع القديم وحاولت كما قالـت : (أن تثأر لجدتهـا) المسكينة المغلقة عليها الاسوار والمطوقة بالحصار والمنبوذة من الحياة والحرية » (31) .

وبعد ، فهذه هي نعيمة الصيد ، أديبة تونسية من جيل الشباب ، ترتقي بأدبها وفنهـا ، غير عابئة بما يثيره من كلمات نقدية . تتقدم بخطـى واثقة ، يحدوها أمل في أن تقدم أدبا يتسم بالجدة ، معاهدة نفسها أن تلتزم جانـب الصدق ، ممزقة أقنعة الزور والبهتان ، كاشفة نفسها بما لهـا وما عليهـا ، لانه ليس في الحياة مـا يستوجب أن يستره المرء ويكفن مشاعره . صـوت الاديبة نعيمة الصيد ، صوت نسائي جسور ، يقتحم المـوانع والحواجـز ، ويثبت أن في قدرة المرأة أن تقول في العشق أصدق وأجرأ ممـا قد يقولـه الرجـل .

فما أحرانا أن ننتبه الى هذا الصوت القادم من تونس الخضـــــراء .

حسنـي سيد لبيـب
(القـاهرة)

---

(29) اسم مجموعة قصصية ليوسف ادريس .
(30) رعشة حلم ـ ص 8 .
(31) المصدر السابق ـ ص 11 .

قصائد قصيرة

شعر: أحمد صنديد

(1) للحب

بالرغم من كلّ لاح اهواكِ رغم جراحي
بالرغم ما كان قبلا ما بيننا من تلاحِ
للحبّ سلّمت أمري ألقيت كلّ سلاح

(2) سعاد

الشمس تغرب أو تكادْ والافق داهمه السوادْ
تاهت سعاد ولم تزل في حيرة فيها امتداد
والليل يركض لاهثا في راحتيه غد معاد
اقبلت يا ليل الهوى حسبُ الهوى منا انقياد
والدرب يظهر لاحيا كم للهوى فيه ارتياد !
قل للذي مل الهوى : إن الهوى ذخر وزاد
جفنان في سهر هنا والشمس تشرق أو تكاد

(3) سيدادة

سيدادُ يا مهرجان الفصول واغنية الحب عبر الحقول
ورقص العذارى بكلّ اتزان تبدّى هنا في ظلال النخيل

(4) في رحلة العمر

نصف قرن فر الزمان تولى باهت اللون في دروب الحنينِ
للغد الزاحف الذي ما تجلىّ بين شك وحيرة ويقينِ
صبغ روحي من السمو ولكن صبغ جسمي من خلط ماء وطين

الأرض والشيطان

مسرحية : نور الدين بلقاسم

الفصل الرابع

ـ 3 ـ (*)

المنظر : (نفس المنظر بالمنزل ونفس الديكور في الفصول السابقة القاعة تحتوي على طاولة وبعض الكراسي وأخت عادل تبدو في الغرفة قلقة تتكلم وحدها قائلة ...)

الفتاة : لقد انتظرت ثلاثة أسابيع ... ثلاثة أسابيع يسجن أخي لأجل قطعة خبز .. أو لأجل المنازلة كما قالوا .. وقد انتظرت والدي أيضا الذي أدخلوه السجن لسبب تافه..كان في اليوم الذي جاء فيه الشرطي ليحشر عادلا في مقر الشرطة ... يومها قد حاول والدي اقناع الشرطي فأبى هذا وتعلق أبي بسترته فتقطع رقم كان معلقا على صدره .. فما كان منه الا أن اتهمه بالعنف والاعتداء عليه .. وحكم على والدي بشهر سجنا وفي غيابهما جاء الشرطي نفسه يحاول اقناعي بان أقضي معه ليلة ، ولولا إتيان خالتي فانقذت الموقف لأفترسني بقوة .. **(تقول في ضيق)** .. أف لهم من أفاكين منافقين . هم يبنون باليمين ويهدمون باليسار فيحسبون أنهم يبنون الحضارة ولكنهم يزرعون الفساد والكره والنفاق .. **(تضع يدها على خدها مفكرة .. فتسمع طرقا على الباب . تسرع اليه لتفتحه فاذا به عادل) .**

عادل : (لأخته) أنت هنا ؟

الفتاة : (لأخيها) وأنت أتيت ؟.. **(يتعانقان ويدخل مع عادل ثلاثة من أصحابه فيسلمون على الأخت ويجلسون على الكراسي ... بينما يبقى عادل يحدث أخته في خصوص ابيه) .**

(*) انظر « الفكر » : ع : 8 ـ س : 31 ـ ماي 1986 .

عادل : أين أبي ؟..

الفتاة : هو أيضا فى السجن ..

عادل : فى السجن ؟.. منذ متى ؟..

الفتاة : منذ ذهابك أنت ...

عادل : وماذا اقترف هو أيضا ؟..

الفتاة : اتهمه الشرطى بأنه اعتدى عليه بالعنف عندما حشرك فى السجن والحقيقة ان الرقم المعلق على صدره قد قطعه ابى عن غير قصد كان عندها يحاول اقناعه بأن يخلي سبيلك .

عادل : ولكنه لم يذهب معى الى المركز الذى ذهبت اليه ...

الفتاة : يجوز أنه حمل على الذهاب الى مكان آخر .

عادل : ذلك هو دأبهم التفريق والتنكيل .

الفتاة : لقد تعلموا أساليب التفريق بين الناس .

عادل : كما علموهم أساليب التعذيب .

الفتاة : قالوا هذه السياسة .

عادل : **(فى عنف)** تبالسياسة تفتت أوصالنا وتزرع فى عروقنا الخذلان .

الفتاة : **(تربت على كتفيه قائلة)** : لا عليك سنحتاط فى المستقبل .

عادل : **(يقول لأخته وهو ينظر الى اصحابه الصامتين)** اذهبى واطبخى لنا قهوة . **(تخرج الفتاة فيقبل عليه أحد أصدقائه سائلا)** :

صديق (1) : **(يخاطب عادلا)** مالك مضطرب ؟ ..

عادل : للظروف السيئة التى نحن فيها ..

صديق (2) : ومع ذلك فاننا لا نفعل شيئا .

صديق (1) : **(للجماعة)** لقد سئمنا هذه الحياة الرتيبة .

صديق (3) : ماذا سنفعل ؟..

عادل : كل شيء ممكن .

صديق (1) : مثلا ؟..

صديق (3) : مثلا نقتل بعوضة أو كلبا أو قطا .. المهم هـو أن لا نخلـد للكسـل .

صديق (2) : النتيجة ؟..

عادل : هى أن نقضى على الكلاب والفئران .. والبراغيث .

صديق (2) : لا أظن أننا سنفلح لأننا بلا سلاح .

عادل : السلاح الاول هو الاقدام .

صديق (1) : قد تكون هذه مجازفة .

صديق (3) : لكنها على كل حال محاولة .

عادل : فلنجرب .

صديق (3) : ليكن هذا فى غفلة من سكون الليل عندما تنام الحشرات ..

عادل : (**مخاطبا أصدقاءه**) سكوتـا : إنـى أسمـع وقـع أقـدام آتيـة ... (**يرهف الجماعة أسماعهم ويلتفتون الى الباب . يفتح الباب فاذا به معتوه الحارة « برغوث »**) .

الجماعة : (**يتكلمون معا**) خلناك أحدهم .. خلناك أحدهم .

برغوث : أنتم دائما تثرثرون والعالم على شفة هاوية .. (**يخاطب الجماعة**) لى مشاريع جئت لاعرضها عليكم ...

عادل : (**يكلمه فى معاتبة**) تكلم يا برغوث كلنا فى انتظار مشاريعك .

برغوث : اسمعوا العالم سينهار .. لقد سمعت ان نصف الكرة الارضيـة من الغرب قد احترق وأن نصفها الشرقى سيحترق عما قريب ..

صديق (1) : (**معلقا**) واذا احترق العالم أين ستمكث ؟

برغوث : اذا احترق العالم سأمتطى ظهر هذا القط الاسود (**يخـرج قطـا من تحت ردائه**) فينطلق بى كالصاروخ وأخرج بذلك من نطاق الارض .. وانظر اليها من عل وهى تحترق (**يضحك**) ...

صديق (2) : وعندما نفنى ماذا ستفعل ؟ ..

برغوث : سأؤبن العالم بقارورة خمر .. أو بقبلة ضبابية حزينة .

عادل : (**يخاطب اصدقاءه بنغمة حزينة وقد وقف من فوق الكرسى**) لقد كان « برغوث » دائما سكران ليتنا كنا مثله على الدوام سكارى لا نعي من هـذا العالم الأخرق .. ولكن .. (**يومىء براسه ...**)

عادل : لكننا نحس أننا مسؤولون عن كل شيء .

صديق (3) : علينا أن نشق الطريق بأنفسنا .

عادل : أحس بأن موروثاتي القديمة تثقل كتفي .

صديق (1) : ألق بها على الاسفلت كي تتحطم .

برغوث : دعونا من الثرثرة .. دعونا من الهذيان .. دعونا من القال والقيل والقول والقائلين والذين قالوا وسيقولون ومن قيل عنهم وقيل فيهم . دعونا من كل هذا ولنأخذ الامور بجدية ..

الجماعة : (**يتكلمون معا فى تهكم ظاهر**) هات الجد يا برغوث هات ...

برغوث : (**يخاطب الجماعة**) اسمعوا لقد حلمت الليلة البارحة بأننى قد صرت زعيما .. ولكننى أحسست أننى زعيم فاشل ، اذ رأيت شعبى كأنه مسجون فى حضيرة بهائم ، فلا هو بالحر الطليق يسعى فى مناكب الارض ويأكل من خيرها .. ولا هو بالميت المستريح من الحياة .. كنت أرى الخنازير تبقر بطون الناس والاسود الوحشية تعمل فيهم الناب والمخالب ، وكانوا كلهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم .. وكنت أنا أنظر ولا أستطيع أن أفهم شيئا لأننى واقع تحت قوة تكبلنى .. استغاثوا بى فلم ألب الاغاثة لأننى واقف بعيدا وبينى وبينهم حائط سميك ..

عادل : ألم تنخط الحائط لاطلاق سراحهم ؟..

برغوث : لقد كان الحائط مطليا بالسم موشى بابر العقارب ...

صديق (2) : (**معلقا**) لقد كنت دائما تحلم فى اليقظة والمنام يا برغوث .

برغوث : إن الحلم الكثير سمة العظماء (**يضرب على صدره**) وأنا .. هيه .. معروف يعرفنى هذا القط الاسود ، وكلبة جرباء تأتى كل صباح لتأكل بقايا الزبالة من أمام المنزل ... ويعرفنى الكثيرون ممن يجهلون قيمتى مثل صبيان الحارة وفئران الحرب ..

الجماعة : (**يضحكون باستثناء عادل يبقى مطرقا**) .

برغوث : (**يضحك فى شبه جنون**) هه .. هه .. هه .. اضحكوا يا سادة اضحكوا ولأضحك معكم .. ولكن لماذا نضحك ؟.. ربما لأننا تافهون .. (**ثم يقول محدثا نفسه**) وكثيرا ما يضحك التافهون على أنفسهم ..

صديق (1) : أحس بوجع فى رأسى .

صديق (3) : اشعر باختناق .

عادل : أنا مختنق ومتالم .

برغوث : كلنا مختنقون .. لقد اختنقنا .. نحن نعيش فى حصار ...

صديق (2) : (**يتكلم معابثا**) أنا أحس ببلعومى واسعا عريضا بحيث يدخل فيه الهواء ويخرج بحرية .. استطيع أن ابتلعك حتى أنت ...

برغوث : منطق كمنطق الثعلب مع الديك والضبع مع الحمار .. كنت انتظر منك غير هذا .

عادل : ماذا تنتظر مني ؟

برغوث : (**للجماعة**) كنت انتظر منه أن يقترح لى أجرا على رعي القطط .. كل صباح وأنا أرعى قطط الحارة .. لقد رأيت الناس لا يرعون حقوق الناس.. فأردت أن أكون شعبا من القطط وأرعى حقوقه .. أليس لى فى ذلك حق ؟ ربما يمنعوننى من ذلك أيضا ؟ لقد كانت القطط عندما ترانى تأتى إلي عدوا . تمسحت القطط على اقدامى كثيرا فنالت الشبع .. أما أنا فقد تمسحت على أقدامهم طويلا ولم أنل شيئا .. كان شأنى كشأن الآخرين أمثالى .

الصديق (1) : (**يخاطب برغوثا مادا له قطعة حلوى**) : خذ هذا يا برغوث

برغوث : ماذا ..؟

الصديق الأول : قطعة حلوى ...

برغوث : (**فى لهجة ذات معنى**) أح .. أح .. حلوى ، حلوى ، حلوى (**يرقص فوق الركح ثم ياكلها ويطالب ثانية**) هات زدنى .. زدنى .

الصديق الثانى : انتهت الكمية ...

الصديق الثالث : لم تنته ولكنه سرقها ليحتفظ بها لنفسه .

برغوث : (**فى لهجة ذات معنى**) لا شك أنه أخذ الصنعة عن أرباب الاحتراف فى السرقة ...

عادل : وهو كذلك يا برغوث ...

برغوث : واقع الناس كذب ورياء .

(تدخل فى هذه الآونة اخت عادل حاملة القهوة فتضعها على الطاولة ينظر اليها برغوث ويخرج لسانه ويديره فى خارج فمه عدة مرات، تصب الأخت القهوة : لبرغوت .. تدخل الخالة فتتجه الى عادل وتسلم عليه وعلى أصحابه .. وتجلس حذوه وتحدثه) .

الخالة : الحمد لله على رجوعك ...

عادل : لقد رجعت وسننظر فيما سيكون .

الخالة : أما والدك فانه ما زال ...

عادل : دعينا من هذا يا خالتى الآن ...

الخالة : مالكم لا تشربون القهوة ؟ اشربوا ... **(ياخذ الجماعة كؤوسهم)** .

الفتاة : (لخالتها) يبدو عليهم التعب ...

الخالة : التعب مرض اليوم .. **(يظهر الرجل الغريب فجأة .. فى زي بشع فيتكلم ...)** .

الغريب : كلنا متعبون ...

الخالة : رجعت للزيارة أم للتجسس ؟..

الغريب : للاثنين معا ...

الجماعة : (معا) من هو هذا الشيخ ..؟

الفتاة : هو شيخ ثقيل رأيناه منذ أيام ، ها هو الآن قد رجع .

الخالة : هذا شيخ قد خرف ...

الجماعة : (يتكلمون معا) دعينا منه فليبق ، لا يضيرنا من بقائه شيء ..

الخالة : (لبرغوث) أشرب قهوتك والا فانهم سيسرقونها .

برغوث : لا عليك .. لقد صارت السرقة شعارنا فى هذا البيت ..

الغريب : إنها شعار كل هذه العائلة .. شعار لكم .. كلكم تعلقونه على نفوسكم . وكان أبوكم قد علقه من قبل ...

الفتاة : ما الداعى الى هذا القول ؟..

الخالة : أنت كاذب !

الغريب : قالت مثلك كثيرات ...

الصديق الأول : لكننا لا نعرفك ...

الصديق الثانى : ولم نالف شكلك أبدا ...

الغريب : (**مشيرا الى الجماعة**) ستعرفوننى .. ستعرفوننى .. فردا .. فردا .. أيها الأغبياء ...

برغوث : (**يسأله متضاحكا بينما الجماعة يمكثون دهشين**) متى ستكون هذه المعرفة ؟

الغريب : ستعرفنى جيدا يوم يأتى لك الكلب بحذائك . وتسير القطة على قدمين لتطهى لك العشاء ، وتذرف الاتان دمعا على فراق حبيبها الحمار ..

برغوث : لله ما أحسن كلامك لكأنك الشخص الذى كنت أحلم به طول حياتى ، لعلك أنت الذى زرتنى تلك الليلة التى كنت فيها أعانق الشيطان ..

الغريب : لقد أتيتك منذ أن عرفت الحياة وجدتك منذ أن بدأت تفرق بين النور والظل فكنت تتبعنى بلا مقاومة ...

برغوث : أنت كاذب لأننى لا أعرفك الا فى هذه الليلة ...

الجماعة : (**وقفوا وتداخلوا**) أنت كاذب دجال ...

الغريب : إن اللغة والكلام عندكم ليس لهما معنى ... إنكم تأكلون الكلام كما تأكلون نفوسكم بالحرمان .. وكما تأكلون الحق بالباطل ...

برغوث : (**للجماعة**) لقد قلب هذا الشيخ المفاهيم ... حتى صرت الآن أنظر اليكم وكأنكم جالسون على رؤوسكم ... وكأن كل واحد منكم ينظر بأذنيه .. ويمضغ طعامه من أسفل ويخيل إلي أن هذا الشيخ (**يشير اليه**) يضحك منه لان حياتكم ومفاهيمكم يراها مقلوبة .. انظروا اليه ما أبشع وجهه ..

(يشير الى الشيخ ويقف الجماعة معا وينظرون فى وجه الشيخ الذى لمعت عيناه وتطاولت قدماه وكشر من أنيابه وظهر له ذيل أسود من الخلف طويل ، وبرزت أذناه كأذنى الثعلب .. يتكلم بشدة ...)

الغريب : تسألون عنى وأنتم تلهجون باسمى صباحا ومساء ...

الخالة : أنت كاذب ...

الفتاة : أنت دجال ...

عادل : أنت متهور ...

الجماعة : (**يتكلمون معا**) إنه موارب ...

الخالة : قل لنا من أنت والا فان مصيرك الهلاك ...

الغريب : أنتم لا تقدرون على شيء منى لاننى خلقت وقد تعودت التمرد منذ الأزل وبتمردى استطعت أن اكتسب حريتى ... وأن أخلق من نفسى كائنا قويا .. أنا الذى تمردت على الاعراف البالية والقوانين الخادمة للآلهة ، وفضلت العلقم حتى أرفع لواء الحرية فى هذا العالم .... أنا إن تمردت على الآلهة فانكم لم تستطيعوا التمرد على أوضاعكم .. أنا الملعون عندكم وعند القانون والاعراف السائدة .. أنا الانسان المتمرد ...

الجماعة : (معا) لا ... نحن نخاف اللعنة ..

الغريب : لان تلعنوا خير من أن تعيشوا أذلاء ...

الجماعة : (يتكلمون معا فى حيرة وقد بدأ الغريب يضرب الارض بقدميه) لا .. لا .. لا ..

الغريب : (لان تحطموا لتبنوا خير من أن تجلسوا على شاطىء السلبية ...

الجماعة : (معا) نحن نخاف اللعنة .. اللعنة .. اللعنة ..

الغريب (وقد رفع فى يده خرقة حمراء وهو يتكلم بارتفاع بينما يتفرق الجماعة فى الزوايا) .

الغريب : لتحرقنى النار ... وليلتهمنى اللهيب ما دمت قد افتككت حريتى وانتصرت على نفسى .. لتحرقنى النار .. النار .. النار .. **النار** ..

أصوات : (تنشد) :

لنحترق بالنار ... فى الليل والنهار ...
لنبذر اللهيب ... فى هذه الدروب ...
ونقتل المحال ... بعزمة الرجال ...
ليشرق النهار ... فى هذه الديار ...

(انتهت)

د. نور الدين بلقاسم

لا صُدودًا بل قضـاء

شعر: عبد القادر العياشي

همت حبًّا بقريتي وافتخارا   وفؤادي هفا اليها مـرارا
قد دعاني الهوى وشوق كبير   بتّ ليلي أغازل الاسحارا
جئت أسعى اليك سعي محبّ   مثلما الطير تقصد الاوكارا
غير أني حللت وا لهف نفسي !   لم أجد من معي يؤم الديارا
فوقفت [!] بها وقوف المعنّى   أرمق الباب اقتفي الآثارا
مات من كان يحتفي بقدومي   وأرى فيه حرمة وجوارا
وأرى غربتي أمام قريب   لم يعرني التفاتة واعتبارا
أي عصر نعيشه في تجافٍ ؟   قد نسينا من كان خلاً وجارا
سوف ابقى للاقربين رؤوما   أجعل الودّ والوفاء شعارا
أنت يا قريتي العزيزة حبّي   من زمان الصبا أتيه افتخارا
إن نفسي تتوق دوما حنينا   تصطفي الأرض ملجأ وقرارا
زاد يا قريتي الحبيبة عشقي   عند مرآكِ ليله والنهارا
واحة الانس قد بدت مثل عرس   في نخيل تمايلت كالعذارى
كم شدا بلبل وغنى هزار   أيقظ الحس ملهما اشعارا
والرياض العذاب تنشر عطرا   من شذاها فتنعش الافكارا
كم سهرنا على الروابي إلى أن   أقبل الصبح والدجى قد توارى !
يوم كنا نسامر الليل أنسا   نكرم الجار خفية وجهارا
ما مقامي على البعاد صدود   بل قضاء يساير الاقدارا

الرابطة القلمية مدرسة التجديد الأدبي

بقلم: د. عيسى الناعوري

ـ 2 ـ (*)

ثالثا : الشعر التأملي :

وهذا لون آخر من ألوان التجديد المهجري في حياة الأدب العربي الحديث ، ولم تعرف مثله مدرسة أو جماعة أدبية في المشرق : الشعر التأملي ؛ وهو يجمع الكثير من الألوان والمعاني التي امتزجت في أدب المهجر حتى تكاد لا تظهر الفروق بين لون ولون : ففيها الانسانية ، وفيها الطبيعة ، وفيها المجتمع الانساني ، وفيها التفكير الصافي في الحياة وفي الناس وفي الآخرة . كل هذه تجتمع في الأدب الجديد الذي جاءت به فئة صغيرة من الشبان المهاجرين ، الطامحين الى خلق كل جديد حي في حياة الأدب العربي .

والأدب التأملي هو لون يتميز به أدباء المهجر الشمالي دون أدباء المهجر الجنوبي ، أو على الأصح يتميزون به أكثر من مهجريي الجنوب . ولعل من أكبر الشعراء التأمليين الشاعر نسيب عريضه ، صاحب ديوان (الأرواح الحائرة) ، وصاحب مطولة (على طريق ارم) . ولعلنا لا نعرف في الأدب العربي القديم أديبا أو شاعرا أطال التأمل في الحياة والموت سوى أبي العلاء المعري ، على الأخص في لزومياته ، وفي بعض قصائده الأخرى . أما لدى ادباء الرابطة القلمية فقد قرأنا كثيرا من الشعر التأملي لدى ميخائيل نعيمه ، ونسيب عريضه ، وايليا أبي ماضي . وكذلك عرفنا الأدب التأملي في نثر جبران ، وأمين الريحاني .

(*) انظر « الفكر » ع : 9 ـ س : 31 ـ جوان 1986 .

من نثر الريحانى التأملى نقرأ ما يلى :

« أيتها الأمواج الناطقة بلسان الفناء والأزل ، الحاملة الينا نبأ من الموت ونبأ من الخلود ! ان بحر الانسانية ليفيض وينضب ، وليزبد ويهيج ، أو يتبخر ويتلاشى ، وأنت الى الأبد فى أعين الشموس والأقمار تشاهدين أباطيل هذا الزمان ، كما شاهدت أباطيل الازمة الغابرة ! » .

ولا حاجة بنا الى التمثل بنثر جبران التأملى ، فكثير من نثره من هذا الطراز ، ولكننا نشير الى مطولته الشعرية (المواكب) ، فهى كلها من الشعر التأملى ، وقد جاءت فى صوتين : صوت شيخ يشكو من متاعب الحياة وظلمها وقسوتها ، وصوت فتى خارج من الغاب يعزف على نايه ، غير مبال بشىء مما يشكو منه الشيخ ، لأن ليس فى الغاب شىء من تلك المتاعب والهموم .

يقول الشيخ مثلا :

والعدل فى الأرض يبكى الجن لو سمعوا ... به ويستضحك الأموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين ان صغروا ... والمجد والفخر والاثراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر ... وسارق الحقل لهو الباسل الخطر
وقاتل الجسم مقتول بفعلته ... وقاتل الروح لا تدرى به البشر

فيجيبه الفتى الخارج من الغاب :

ليس فى الغابات عدل ... لا ولا فيها العقاب
فاذا الصفصاف ألقى ... ظله فوق التراب
لا يقول السرو : هذى ... بدعة ضد الكتاب
ان عدل الناس ثلج ... ان رأته الشمس ذاب

ونلاحظ هنا كيف امتزج التأمل بالطبيعة ، وبالانسانية العادلة المتساوية ، حيث أصبح للصفصاف روح وللسرو حياة ؛ فلا تباغض ولا تحاسد ، ولا عداوة بين الصفصاف والسرو ، ولا معنى للعدل ولا للظلم فى تعاملها معا كما يجرى فى حياة الناس .

واما نسيب عريضة فيقول مخاطبا روحه الحائرة المترددة :

لماذا وقفت بخـــوف وحيـــره   ايـا نفس عنـد الطريق الأخيـره ؟
الا امشـى فـان الحيـاة قصيـره   ألا امشـــى !
مقـر الالـه بعيـد فسيـــرى   لكـى تدركـى الله قبـل النشـور
فجـدى ولا تسالـى عـن مصيـرى   بعيشـــى .
ألا أمشـى ، وبعد الجهـاد الحقيقـى   سنسبـق آمـالنـا فــى الطريـق
ونجنـى الأشعـة قبـل الشـروق   ألا امشى !

ولعلنا عند نسيب نستطيع أن نقف ونطيل الوقوف ، لـو أردنـا أن نستقصى الشعر التأملى لديه ؛ فلقد كان لديه منه الشىء الكثير ؛ وقصيدتـه المطولة (على طريق ارم) كلها قصيدة تأملية ، بكل أناشيدها : تأمل وحيرة وحيرة وتأمـل ، هكـذا تسير القصيدة من مبتداها الى منتهاها . وهـو فيها يمضى فى رحلة طويلة بحثا عن المعرفة والحقيقة وسـر الوجود . لقد خلـق الشاعر لنفسه ارما روحية غير منظورة راح يبحث عنها جاهدا ، حتى خيل اليه انه رأى نارها من بعيد ، ولكنه لم يبلغ اليها . وكان رفاقه فى البحث عنها :

قد كان فى الركب قلبـى   ومهجتـى وهـوايـا
والعقل حامـى السرايـا   والشوق مزجـى المطايا
وفـى الهـوادج حلمـى   ورغبتـى ، والطـوايـا
بنات صـدرى وشعـرى   والذكريـات الحظايـا
وسـاحـرات الأمانــى   وعـائـلات الخطايـا
يحـدو لهـن حنينـى   حـداء أعمـى سجيـن
يـرى بغيـر عيـون   رؤيـا تشـوق وتصبـى

وهو فى النهاية يناجى ضوء ارم ، الذى خيل اليه أنه رآه مـن بعيد ، فيقول :

ايـه ضـوئـى البعيـد   لـح ولـح مـا تـريـد
ليس طـرفـى يحيـد   عنـك حتـى تعـود
لتـراب ودود

لح ولح فى الفضاء قد سمعت النداء
ودليل الرجاء فمساه يقود
ظاميا للورود

ولقد سمع نسيب نداء روحه المتطلعة الى المعرفة والى الكمال ، فظل حياته كلها يسير نحو ذلك الضوء البعيد .

أما ايليا أبو ماضى فنحن نعرف قصيدته (الطلاسم) ، وهى كلها تأملات فى الحياة وما وراء الحياة من بدايتها التى يقول فيها :

جئت لا أعلم من أين ، ولكنى أتيت
ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت
وسأبقى سائرا ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقى ؟
لست ادرى !

الى نهايتها التى يقول فيها :

انى جئت وامضى وانا لا اعلم
انا لغز ، وذهابى كمجيئى طلسم
والذى اوجد هذا اللغز لغز اعظم
لا تجادل ! ذو الحجى من قال : انى
لست أدرى !

وكذلك قصيدته (الحكاية الأزلية) ، ومثلها كل شعره القصصى ، وبعض شعر الطبيعة . ان التأمل ميزة عامة فى شعر الرابطة القلمية . فقول جبران ، مثلا :

يا نفس ، لولا مطمعى بالخلد ما كنت اعى
لحنا تغنيه الدهور
بل كنت أنهى حاضرى قسرا ، فيغدو ظاهرى
سرا تواريه القبور
وفى ظما قلبى دليل على وجود السلسبيل
فى جرة الموت الرحيم

يا نفس ، ما العيش سوى ليل ، اذا جن انتهى
بالفجر ، والفجر يدوم

هو من الشعر التأملي الجميل اللطيف : الشعر الذى يحلل الوجود والعدم ، ويناقش اسرار الحياة والموت والكون والانسان والطبيعة ، لكي يصل الى معرفة كنهها .

رابعا : شعر الطبيعة :

ليست الطبيعة موضوعا جديدا فى الشعر العربى ، بل رافقته منذ البداية منذ أن كان الشاعر الجاهلي يقف على الطلول ، ويناجي الحبيبة الظاعنة ، ويبكي على الرماد الذى خلفه الاحبة فى أماكن بيوتهم . فمنذ آن قال امرؤ القيس الكندى :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمال
فيا لك من ليل كان نجومه بامراس كتان الى صم جندل

عرف كيف يصف الرمال السوافي فى الصحراء العارية ، وكيف تتلاعب بها رياح الشمال والجنوب فتعفي على رسومها ، ورسوم الاماكن التى يقطنها الأحبة ، وكذلك عرف كيف يصف طول ليل المحبين ، فيشبهه بشيء مشدود بالحبال الى الصخور الصماء ، فما يكاد يتحلحل من مكانه . وهكذا مضى الشعراء من بعده يعيشون مع الصحراء ورمالها السوافي ، ومع لياليها الطويلة الثقيلة ، ومع حياتها القاسية ، وتحت سمائها الواسعة المترامية مثلها ، ويستنيرون بشمسها المحرقة ، وقمرها الدافيء المنير ، ونجومها الضئيلة النور . وظهر كل ذلك فى شعرهم . كما عرف الشعراء فى مختلف عصور التاريخ العربى الاسلامى شعر الطبيعة ، فوصفوا الجبال ، والبحار ، والأنهار ، والسهول ، والغزلان الشاردة فى الصحراء ، والابل ، والخيل . وهكذا كان شعر الطبيعة معروفا عندهم الى أن نزلوا الأندلس ، وعرفوا الطبيعة الخضراء الغنية ، ورقت معها أوصافهم الشعرية ، وأصبحت الطبيعة لونا من ألوان الرقة والجمال ، ودخلت فى الغناء ، الى جانب شعر الحب والغزل .

وهكـذا لم يخل عصر مـن عصور الأدب العربـي مـن أدب الطبيعـة وشعرها ؛ وظهر فيها شعراء مبـرزون ، ولا سيما فى الأندلس الخضـراء ، ذات الجنان التى تبهج النظر وتمتع النفس .

فلما جاءت مدرسة المهجر ظهرت معهـا ألوان جديدة مـن أدب الطبيعة وشعرها ؛ فلم تعد الطبيعة مجرد منظر نشاهده ونتغنـى بجماله ، أو نتحدث عن جفافه ، بل أصبحت طبيعة تحس ، ويحكـى معها الشاعر وتحكـى معه ، وتلهمه الأحاسيس والأفكار الانسانية الكبيرة العجيبـة ؛ ويصف الشاعـر أحاسيسها وأفكارها فى شعره . وهذا هو الجديد فى شعر الطبيعة المهجرى : الوصف الحسى المادى اختفى ، ليحل محله شعر الاحساس المتبـادل بيـن الطبيعة والانسان . حتى التشابيه والاستعارات والكنايات والمجازات زالـت عنها الصفة المادية . وحلت محلها الأحاسيس الحية المتفاعلة مع نفسها ، ومع الانسان ، ومع المخلوقات .

من ذلك مثلا قول نعيمه فى كتابه (البيادر) يـرسم صـورة لجبـل صنين ، وللمشاعر العاطفية التى يتبادلها معه البحر ، كأن بينهما حبا حقيقيا متبادلا :

« ومن صخور السفوح ما عبد به صنين الطريـق التـى يسلكها اليـه حبيبه البحر عند عودته من زياراته العديدة له .. ففى الصيف ما ينفك البحر يغمر بأنفاسه وجه صنين : فآنا سحاب ، وآونة ضباب ، وآنا ندى ما أظـن جنة عدن عرفت ألطف منه أو أخف . أما فى الخريف ، وقد راح صنين يستعد لغفوة الشتاء فيصعد اليه البحر مرارا ، ويغسله من أم رأسه حتى أخمصيه ، كأنه العروس تعد للزفاف . ويأتى الشتاء فيطير البحر الى صنين ليغفو واياه غفوتهما الطويلة البيضـاء . ويجيء الربيع فيستفيـق العروسـان ، ويعـود أحدهما الى شواطئه فى الطريق التى رصفها له الآخر بفلذات من كبـده » .

هذا نوع من الحيـاة التى خلعها الرابطيـون على الطبيعة : على الجبل والبحر ، وعلى الغيوم والثلـوج ، حياة كلها حركة ، ونشـاط ، وتفـاعـل مستمر ، وتعاون ، وتعاطف . وما كان مثل هذا الاحساس بالطبيعة من قبـل فى الشعر العربى كلـه .

ان أدباء الرابطة وشعراءها عميقـو الاحساس بالطبيعة ، عميقـو الحب لها والاتصال بها ، يرون فى كل ما فيها أشياء حية : تحب وتكره ، تسعـد وتشقى ، تفرح وتحزن ، وترجـو وتخيب ، وتعمل وتكسل . وهـم لذلـك

يناجونها ، ويستلهمونها ، ويبثونها آمال قلوبهم وآلامها ، وأشواق نفوسهم وحيرتها . وهى توحى اليهم بالحنين والحنان ، وبالأخيلة البعيدة كأطراف الأفق ، والمترقرقة كالجداول المنسابة .

وقد رأينا بعض ما يقوله جبران فى الغاب : حيث العدل والمساواة ، والأخوة ، والانسانية الرحيمة . وقد لا يكون الرابطيون جاءوا بصورة الغاب وحسه به من عندهم ، بل أخذوه عن شعراء الرمنسية الغربيين . ولعلهم لم يزيدوا عليه ، ولكنهم انسجموا معه ، وهضموه ، وأبدعوا فى الاحساس به . وهكذا ادخلوا شيئا جديدا فى الأدب العربى الحديث .

ولعل من اللطيف والممتع أن نعيش لحظات مع بعض شعرهم ونثرهم فى الطبيعة . لنأخذ لنسيب عريضة مثلا قوله :

اصبت يا نفس فاتبعينى ... فليس كالغاب من مقام
يا غاب جئناك للتعرى ... انا وروحى ، ولا حرام
فليدع الغصن ما يراه ... هنا اذا احسن الكلام

فالغاب عند الرابطيين هو رمز الجمال والبساطة ، أو هو — كما يقول نسيب عريضة — « كتاب مقدس ، كلماته تعاويذ تشفى من لذعات فلسفة الحياة » . ويعرفه ميخائيل نعيمه بأنه « عنوان الحياة الشاملة ، التى تطعم ذاتها من ذاتها : فلا موت الحمل عندها مأتم ، ولا غذاء الذئب وليمة » .

من احساس الرابطيين العميق بالطبيعة . نجوى أمين الريحانى — وان لم يدخل الرابطة — للطبيعة فى قصيدة منثورة له بعنوان (معبدى فى الوادى) ، وهو :

« ايه أمى الطبيعة ! جئت أجدد معك آمال الحياة وسرورها
جئت اجدد ايمانى وعهدى مع كلا الحقول وزهورها ،
وقفت على ضريح الشتاء ليلا ، فشاهدت هناك مشهدا جليلا :
شاهدت ربة الربيع تقبل جبين ابيها ،
فينور الأقحوان تحت شفتيها .
رأيتها تكتب بدموعها سفر الخلود .
هناك من حلق الحسون الذهبى تتدفق الأنغام الفضية

هناك من منقر الدورى النحاسى ترتفع الأناشيد الشجية .
فى ظل القويسة والغار ، وبين الصقر والوزال والخنشار ،
أبنى لك أيتها النفس هيكلا من الايمان
أقيم فيه تمثالا للوداد والاخــاء
وأدعو اليه كل بشر تحت السمــاء » .

هذا فى النثر ، أما فى الشعر فان أبـا مـاضى يخاطب شهـر أيـار فيسميه (شاعر الشهــور) ويقــول :

ايــار يا شاعــر الشهـور وبسمة الحـب فى الدهـور
وخالـق الزهر فى الروابى وخالق العطر فـى الزهـور
وغاسـل الأفـق والـدرارى والأرض بـالنـور والعبيـر
اتيـت ، فالكـون مهرجـان مـن اللـذاذات والحبـور
ايقظت فى الأنفس الأمانـى والابتسـامات فـى الثغـور
وتجعـل الشـوك ذا أريـج وتجعل الصخـر ذا شعـور
فاينما سرت صوت بشرى وكيفما ملت طيـف نـور

ويقول فى الغــاب :

وليك الليل راهبى ، وشموعى الشهب ، والأرض كلها محرابى
وكتابى الفضاء اقـرأ فيه سـورا ما قرأتهـا فى كتـاب
وصلاتى الذى تقـول السواقى ، وغنائى صوت الصبا فـى الغاب
ورحيقى ما سال من مقلـة الفجر على العشب كاللجين المذاب

ولست أقف لأعلق على هذه الصور الروائع ، فليس مـن شك فـى أن من يقرؤها أو يستمع اليها ، يحسها مترقرقة فى أعماق نفسه ، ولا يحب أن يشرحها له أو يعلق عليها انسان ، لئلا يفسد عليه متعة الحس والصورة .

وأما ميخائيل نعيمة فيخاطب نهر موسكو المتجمد فى شعر تأملـى رقيق حنون ، يخلع على الماء شعورا وحياة ، فيقول :

يا نهر ، هل نضبت مياهك فانقطعـت عـن الخريـر ؟
ام قد هـرمت وخـار عزمـ ـك ، فانثنيت عن المسير ؟

بـالأمس كنـت مـرنمـا   بيـن الحدائـق والزهـور
تتلـو علـى الدنيـا ومـا   فيهـا حـاديث الـدهـور
بالأمـس كنـت اذا أتيـ   ـتك بـاكيـا سليتنـى
والـيـوم صـرت اذا أتيـ   ـتك ضـاحكـا أبكيتنـى
يـا نهـر ، ذا قلبـى أرا   ه كـمـا أراك مـكـبـلا
والفـرق أنـك سـوف تنـ   شط مـن عقالك وهـو لا !

هكذا يناجى شعراء الرابطة وكتابها الطبيعة نجوى العاقـل الناطـق ، ويبادلونها الأحاسيس الحارة الفائرة ، حبا وحزنا واشفاقا .

وهذا أبو ماضى يناجى الفراشة نجوى كلها حنان ورقة ، فيقول :

قالـوا : فراشة حقـل لا غنـاء بهـا   ما افقر الناس فـى عينـى واغناك !
رأيـت أحـلام أهـل الحب كلهمـو   لمـا مثلـت امامـى عنـد شباكـى
وقص شكـواك قلبـى قصـة عجبـا   من قبل ان سمعـت اذناى شكـواك
أليس فيـك مـن العشـاق حيرتهـم   فكيـف لا يفهم العشـاق نجـواك ؟
حلمـت أن زمـان الصيـف منصـرم   ويـلاه ! حققـت الايـام رؤياك
فقـد نعـاه اليـك الفجـر مرتعشـا   وليس منعـاه الا بعض منعـاك
فـالزهـر فـى الحقل أشـلاء مبعثرة   والطيـر ؟ لا طائـر الا جنـاحـاك
لم يبـق غيرك شىء مـن محاسنـه   ولا مـن العابديـن الحسـن الاك

ويناجى نعيمه أوراق الخريف ، فيقول فى معنى الخريف الباعث علـى الأسـى :

تنـاثـرى تنـاثـرى   يـا بهجـة النظـر
يا مرقص الشمس ويا   ارجوحـة القمـر
يـا ارغن الليل ويـا   قيثـارة السحـر

* * *

يـا رمـز فكر حائـر   ورسـم روح ثائـر
يـا ذكر مجـد غابـر   قـد عافـك الشجـر
تناثرى ، تناثرى

وهكذا نرى من هذه النماذج القليلة المقتطفة من شعر الرابطة القلمية ونثرها ، أن شعراء الرابطة وأدباءها قد امتزجوا بكل شىء فى الطبيعة امتزاجا تاما ؛ حسا وعاطفة وفكرا : يخاطبونها وتخاطبهم ينقلون افكارها ومشاعرها ، ويحزنون معها ويفرحون ، وتحزن معهم وتفرح ، وتهيء لهم مصادر الامل والألم ، والتفاؤل والتشاؤم ؛ لا فرق فى ذلك بين الطير والحيوان ، والماء والعشب ، والشجر والندى ، وكل ما فى الطبيعة من كائنات . كل ذلك يحس ويتكلم ويفكر ، ويندمج فى الانسان ، ويدمج فيه الانسان . وهذا شىء جديد حقا فى مسيرة الأدب العربى ؛ وقد أبدعته فيه الرابطة القلمية المهجرية . يعبر عن ذلك ميخائيل نعيمه بقوله :

« لو سأل الانسان نفسه يوما : من أنا ؟ لما تمكن من اقامة حد بينه وبين شيء ... فاذا ما أكلتم ثمرة ، فكأنكم أدخلتم الى جوفكم الحياة بأسرها ، لان كل ما فى الحياة قد تعاون على تكوين تلك الثمرة » .

وعبر عنه جبران ، قبل نعيمه ، بقوله : « خيل الي فى الأمس انى ذرة تتموج فى دائرة الحياة بغير انتظام ؛ واليوم أعرف أننى أنا الدائرة ، وأن الحياة بأسرها تتحرك فى ، ذرات منتظمة » .

ليس هذا كل ما جاءت به مدرسة المهجر الاولى من عناصر التجديد فى الأدب العربى الحديث ، ولا هو كل البصمات الدامغة التى تركتها فيه . ولكن المجال لا يتسع لنتحدث عن كل هذه العناصر الجديدة ، ولنتمثل عليها بما فيه الكفاية ، من شعر الرابطيين ونثرهم . الا أننى أحب أن أقول: إن الرابطة القلمية قد أبدعت كل ما ابدعته فى تجديد الأدب العربى وتحريره من قيود التقليد والجمود ، دون أن تقوم بأية دعاية لنفسها ، بل تركت لادبها الجديد ان يقدم نفسه الى القراء فى مشارق الارض ومغاربها . فلم نجدها تكتب المقالات والفصول الطوال تبين ما تؤمن به ، وما يهمها أن تدعو اليه ، إن شيئا من هذا لم يحدث قط .

وعلى الرغم من المقاومة الشديدة التى لقيها أدب الرابطة هذا ـ ثم الادب المهجرى كله ، من أدباء مصر خاصة ، وعلى رأسهم طه حسين زعيم المجددين يومئذ ، أو زعيم دعاة التجديد ، على الاصح ـ فان الفضل فى ما يتحلى به الادب العربى اليوم من سهولة العبارة وجمالها ورشاقتها ، ومن تطور أساليب التعبير شعرا ونثرا ، يرجع فى أغلبه الى أدب الرابطة القلمية ، وأدب المهجر عامة ؛ فهو الذى فتح الباب على مصراعيه لكسر الجمود والتقليد .

لقد جاءت الرابطة فى زمن كان أعظم شعرائه : البارودى ، وشوقـى ، وحافظ ، وخليل مطران ، يرون أن قوة الادب وجودته فى تقليد الماضـى ، ويتنافسون فى تقليد شعراء العصر العباسى عبارة وأسلوبا وروحا.كان العظيم العظيم ، فيهم من يقول فيه النقاد : إنه خليفة المتنبى مثلا ، أو خليفة البحترى أو غيره . أما أدباء الرابطة القلمية فقد حرروا أنفسهم أولا ، وحرروا أدبهـم ثانيا من أن يلبسوا ثياب غيرهم . كانـوا يحسون بأن مـن العيب أن يلبس الواحد منهم ثيابـا ليست له ، ويريدون أن يكون كـل منهم نفسه ، ويكـون أدبهم نابعا من اعماق قلوبهم : من احساسهم وفكرهم وخيالهم وزمانهم . ومن هنا كانت مدرستهم جديدة ، ومن هنـا تلقف الناس أدبهم بشوق ومحبـة . ولعل أحسن دليل لدينا أبو القاسم الشابى وشعره .

ان الشابى لم يتأثر بجماعة أبولو ، ولو أنه عرف واشتهر عن طريـق مجلتها . أما تأثره الحقيقى ـ كما اعترف هـو نفسه ـ فقـد كـان بشعـراء الرابطة القلمية : بجبران ، ونعيمه ، وايليا أبى ماضى ، ونسيب عريضه . ويتضح هذا الاثر البارز فى شعره الانسانى ، والتأملى ، وفى شعر الطبيعـة لديه . وتأثره هذا لم يكن قط تقليدا ، ولكن دله على طريق الابداع فقط .

وليس عندى شك فى أن المتفوقين من جيل شعراء أبولو ، من أمثـال على محمود طه ، وابراهيم ناجى ، كانت الرقـة فى عبارتهم ، والتحليق فـى خيالهم ، والنعومة فى أساليبهم ، بعض أثر الرابطة القلمية والأدب المهجرى وقد انسحب هذا الأثر على تطور الاساليـب والافكـــار والخيالات ، التـى أصبحت مع الايام سمة أدبنا الحديث . واذا كـان من السهـل على الناقـد البصير أن يتبين هذا الأثر فى الثلاثينات من هذا القـرن ، فقد أصبـح مـن العسير جدا أن يلمسه النقاد اليوم ، بعد ان بعد الزمـن عن مدرسة المهجر ، واصبح التطور الحديث أمرا واقعا فى جميع الاقطار العربية . فضل المهجـر أنه فتح الطريق وقال للسالكين . « ادخلوا بأمان » .

أما لماذا قاوم المصريـون أدب المهجر بضراوة ؟ فـلان مصر يومئذ كانت ترفض ان تعترف بأى فضل يأتى عـن غير طريق مصر ... ومع ذلـك ورغم المقاومة ، التى كان طه حسين على رأسها ، دخل أدب الرابطة القلمية والأدب المهجرى عامة ، الى مصر ، والى كل بلد عربى ؛ وأصبحت تتناقلـه المجلات العربية ، فى مصر وغير مصر ، بكل اهتمـــــام .

د. عيسى الناعورى

سدّ يُبعث مِنْ جديد

شعر: عمر السعيدي

بلقيس قومي شاهدي   ميلاد سد مأرب
فالليل افتض ستره   حفيد قحطانَ الابي
وانشقّ ديجور العنا   عن فجر مجد يعربي
وانسلّ نور ساحر   من جوف كهف مرعب
وصاح في التاريخ طفل   هدّ سور الملعب
أحلامه كبيرة   فوق الفضاء الارحب
قد قال للتاريخ: قف   ودر وشاهد مأربي
غدا يكون البدر لي   والشمس تضحي مركبي
وبيميني هذه   احشو الفضا بالسحب
وسوف اروي تربتي   بعد الجفاف المجدب
ولم أزل حتى ارى   اخضرار بالي الحطب
قد قيل لي: إن أختّا   لي هزّ مجد المغرب
بهمة فوق النّهى   وحكمة المجرّب
وزغردت عليسة   لنجلها المحبّب
اضاف مجدا شامخا   لمجد جدّ طيّب
كم من سدود شادها   احيت رمال السبسب!

حتى غدت « خضراؤه »	كالحلُم المعشوشب
قومي اسمعي عليسة	تزيل همّ المتعب
بمقطع منغم	كأنه حلم نبي
لشبلها القائل : قد	جسمت ما أعيى ابي
قومي انشدي لي مثلها	فسدّ جدي صاح بي
وها انا بهمتي	اشيد اغلى مكسب
حتى ارى مياهه	تشفي جراح الاجرب
إذ من هنا من سبل	فاحت طيوب الحسب
ومن ربى قرطا جنا	ارض الإبا والادب
تفتحت قريحة	جادت بأغلى مطلب
ومن هنا ومن هنا	لك كان بدء الكتب
والآن عاد عزّنا	كعودة المغترب

عمر السعيدي

ننشر فى الاعداد القادمة

كتاب الصحافة بصفاقس

(1904 - 1982)

تأليف : محمد الشعبوني
تقديم : محمود الحرشاني

ـ انه كتاب «الصحافة بصفاقس من 1904 م الى 1982» تاليف الاستاذ محمد الشعبوني ، وقد صدر منذ أيام قليلة عن التعاضدية العمالية للطباعة والنشر بصفاقس ، فى اخراج أنيق وورق صقيل ، يحتوى الكتاب على 192 صفحة من القطع المتوسط، وقد ازدان غلاف الكتاب وظهره، بمجموعة من اسماء وعناوين لصحف ودوريات تعرض لها الكاتب ، وتحدث عنها فى كتابه ، كما نطالع على ظهر الغلاف ، ترجمة لحياة المؤلف ، وسعر الكتاب ، ونفهم من هذه الترجمة القصيرة ، ان الاستاذ محمد بن عبد السلام الشعبوني ، هو من مواليد صفاقس فى 27 مارس 1928 ، وهو محرز على شهادة الاهلية والتحصيل فى

العلوم والعالمية فى الآداب ، والاجازة فى الشريعة ، وهو أستاذ مجاز ، والاستاذ محمد الشعبونى ، ساهم فى أغلب الصحف والمجلات التونسية وشارك فى الجمعيات بصفاقس ، وهو منتج برامج بالاذاعة ٠ وقد صدر للكاتب من قبل ديوان شعر بعنوان «وحى الضمير» وكتاب بعنوان «النادى الصفاقسى فى 50 سنه» وله تحت الطبع ديوان جديد يحمل عنوان «أغانى الوفاء» ٠

ـ حسنا ٠٠ بعد هذا ، هل بالامكان ان نلج الآن الى داخل هذا الكتاب ، لنتعرف على محتواه ، والصحف التى تعرض لها الكاتب والمراجع التى عاد اليها ؟

ـ لك ذلك ، لكن قبل ذلك ، لابد من الاشارة الى أن هذا الكتاب «الصحافة بصفاقس» يعتبر مرجعا هاما ، لتوثيق وتخزين المعلومات المتعلقة بتاريخ الصحافة فى تونس والصحافة الجهوية على وجه الخصوص . هذه التى شهدت ـ مثلما يؤكده الاستاذ محمد الشعبونى فى كتابه الذى نحن بصدده ـ نهضة منذ بداية هذا القرن ، حيث لم تكن جهة من الجهات تخلو من صحيفة أو مجلة ، سواء قبل الاستقلال أو بعده ٠

وقد كانت هذه الصحف والمجلات ، منتديات مفتوحة لكل ذوى العزائم والطاقات، للاسهام فى بناء الانسان التونسى، وشحذ همته، والرفع من مستواه ولعبت هذه الصحف والمجلات التى كانت تصدر بالجهات ، دورا هاما فى التعريف بمشاغل الانسان التونسى ، على تواضع امكانياتها وقلة عدد صفحاتها .

ـ ها انك قد بدأت تدخل بنا عالم كتاب «الصحافة بصفاقس للاستاذ محمد الشعبونى» .

ـ نعم ، وبتصفحنا لهذا الكتاب ، تستوقفنا فى البداية ، مقدمة وضعها المؤلف وضح فيها الاغراض والاسباب التى دفعته الى وضع هذا الكتاب وقد جاء فى هذه المقدمة بالخصوص قوله :

«هذه جولة مع بعض الصحف والمجلات التى صدرت عن مدينة صفاقس ، أو احتضنتها هذه المدينة لمدة قصيرة ، أو كان أصحابها من مدينة صفاقس ، وأصدروها خارجها ،٠٠ وهذه المجموعة من الصحف والمجلات تعطينا فكرة عن الدور الهام الذى كانت تقدم به الصحيفة أو المجلة فى زمان غياب وسائل الاعلام العصرية ٠٠٠ وكانت تعتبر الصحيفة آية عصرها ٠٠»

ـ هذه مقدمة الكاتب ، وماذا عن محتوى الكتاب نفسه ؟

ـ يأخذنا هذا الكتاب فى رحلة ممتعة مع تاريخ الصحافة المكتوبة بجهة صفاقس من سنة 1904 الى سنة 1982 ، وعلى امتداد هذه السنوات ، كانت مدينة صفاقس منبعا ثرا للعطاء الصحفى والادبى ، ولم تنقطع حركة الفكر بها أو تخمد ولم يصبها الركود ، بل ان الصحف والمجلات التى توالى صدورها بهذه الجهة ، مثلما يوضحه ذلك مؤلف الكتاب ، كانت الواقع الحقيقى وراء عدم اخماد نار هذه النهضة الفكرية والثقافية التى شهدتها صفاقس ، ولم تنقطع أبدا الى يوم الناس هذا ؟

ويتعرض المؤلف فى هذا الكتاب الى 56 دورية صدرت بصفاقس بين مجلة وجريدة ، منها ما أصدره الخواص من رجال الثقافة والفن ، ومنها ما صدر عن جهات ثقافية ومؤسسات تعليمية ، وقد صدرت أقدم جريدة بصفاقس سنة 1904 وهى جريدة «الرشدية» أما أحدث جريدة صدرت بصفاقس فهى جريدة «شمس الجنوب» للاستاذ على البقلوطى ، وقد صدرت سنة 1975 ، أما ما تلاها فهى مجلات ونشريات تعرض لها الكاتب ، فقدمها للقراء صيانة لها من الاهمال فقط .

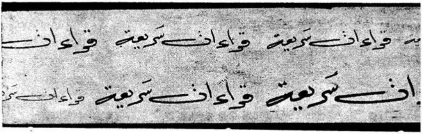
ـ نفهم من هذا ان مدينة صفاقس كانت تعج بالصحف والدوريات ؟

ـ نعم ، فصفاقس من جهات البلاد الاولى ، التى صدرت بها صحف ومجلات محترمة ناطقة باسمها وبها اهتمام بجهات الجنوب، باللغتين العربية والفرنسية، وقد حرص الكاتب على ان يكون تقديمه لهذه الصحف والدوريات مقترنا باستعراض نماذج من محتوياتها واتجاهها، ونوعية الاقلام وأسماء الكتاب الذين كانوا يساهمون فى تحريرها .

كما حرص المؤلف على أن يثبت فى نهاية كتابه وعلى امتداد 14 صفحة صورا لعناوين واسماء بعض الصحف والدوريات التى تعرض لها ، وهو يقول عن ذلك :

«حاولت أن أجمع صورا لاعداد بعض هذه النشريات توثيقا وتذكيرا ، حتى يدرك المطالع مدى الجهد الذى قام به رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ...»

ـ بقيت لنا كلمة ، هى ان يواصل الاستاذ محمد الشعبونى جهوده ، ليبرز لنا كتابا ثانيا ، يتحدث عن الصحافة الجهوية بصفة عامة لا التى صدرت بصفاقس فقط ، ونعتقد ان ذلك ليس بالامر الصعب على همة الاستاذ الشعبونى .



● «الدراسات الفلسفية»

صدرت المجلة التونسية للدراسات الفلسفية فى عددها الخامس بتاريخ مارس 1986 فى ثوبها المحترم ومستواها الطيب ومحتواها المتنوع الثرى .

وهذا العدد خاص بوقائع ملتقى «الخطاب والتقدم» الذى نظمته «الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية» وهو الملتقى الثالث وقد سبق أن صدرت فى العدد الرابع وقائع الملتقى الثانى فى «التأويل» مع التذكير بأن المجلة كالعادة تشمل قسما بالعربية وآخر بالفرنسية .

والاعداد الثلاثة الخاصة المذكورة مساهمة طيبة فى اثراء الحوار الفكرى وتعميق التفكير الفلسفى من أجل انسان واع وحر ومسؤول .

● «اثنا عشر الفا»

مجموعة باللغة الفرنسية لمصطفى حبيبى على صيغة القصص حينا والخواطر حينا آخر تتخذ ثوب الواقع المعيش المحتار البسيط حينا وثوب الخيال الممتد عبر الآمال المفقودة والجنة الضائعة حينا آخر لكنها كتابات من شأنها أن تشدك وتضطرك الى الانتباه والتفكير ومحاولة قراءة أو اكتشاف ما بين الاسطر والكلمات التى لا تخلو من عمق وشاعرية .

● «حقوق المؤلف فى الاذاعة والتلفزيون»

صدر من منشورات اتحاد اذاعات الدول العربية بتاريخ 1986 كتاب لعبد الله شقرون أمين عام الاتحاد بالعنوان أعلاه يتناول بالدرس كل ما يخص حقوق التاليف فى ميدان الاذاعة والتلفزة .

والكتاب فى خمسة فصول بعد مدخل عام فى ظهـور الحقـوق وتـاريخها وتطورها .

الفصل الاول فى المصطلحات والمفاهيم العامة والخاصة والقانونية .

الفصل الثانى فى التشريعات والقوانين الخاصة بالحقوق وأصحابها .

الفصل الثالث فى مصنفات الملك العمومى والفلكلور وآفاق تناولها .

الفصل الرابع فى صيانة الحقوق الخاصة بالبرامج التلفزية عبر الاقمـار الصناعية .

والفصل الخامس والاخير فى التطبيقات التنظيمية حول حقـوق المـؤلـف وهيئات الاذاعة والتلفزة .

● «الإبستيملوجيا البديل»

صدر فى سلسلة «علامات» للدار التونسية للنشـر بتـاريخ 1985 كتـاب «الابستملوجيا البديل» لابى يعرب المرزوقى وهو عمل فلسفى هام يغذى فيه الجانب العملى الاجتماعى الجانب الشكلى النظرى ويتزاوج معه فى فتح آفـاق جديدة واسعة من أجل وعى حقيقة العلم والوظيفة الواجب أن تكون له ضمن مطابقة مضمونه لشكله وتعادلهما سعيا وراء توحيد الوجود فى مفهوم «الفقه الاسمى» :

وينطلق الكتاب من مسألة نشأة العلم ودوره فى الوجود الانسانى ليتطرق الى فقه العلم : منزلة المعرفة . أصناف النظريات الفلسفية . علم محددات العلم واعادة كتابة تاريخه مع الشواهد على كونية الظاهرة العلمية ثم يتناول الكتاب محددات العلم شكلا ومضمونا توثيقا وتنظيرا ونظرية الخبرات التكنلـوجية والرمزية وحرفهما فى مرحلتى تنظيـرهما فى الطبيعـة الظاهـرة والطبيعـة الباطنة .

وينتهى البحث أخيرا الى غاية العمل الا وهى «الفقه الاسمى» الحـاوى فى ترابط وامتزاج ووحدة لفقه العلم وفقه العمل وفقه المعيار وفقه الوجود بحيث ننتهى الى الفقه الاعلى وهو « فقه الفقـــه » .

وفـى اعتقادنـا أن مثل هذه الاعمـال تسـاهم مساهمة مثرية جدا للمكتبة الفلسفية العربية الاسلامية ومشرفة فى حقل الفلسفة العالمية المعاصرة .

● « يتشكل الغيم فى رحم المدينة »

مجموعة شعرية ضمن الاخلاء عدد 66 نوفمبر 1985 للشاعر السورى الشاب هادى دانيال الذى يعمل حاليا كمحرر ثقافى لمجلة منظمة التحرير الفلسطينية المركزية «فلسطين الثورة» ينبعث منها الحزن والتحسر على الواقع العربى الاليم والثورة على أوضاعه البالية وخياناته البشعة .

● « الوعى بحركية الزمن فى الادب العربى »

صدر بتاريخ مارس 1986 عدد خاص من « الاخلاء » جامع لستة أجزاء فى مجلد واحد تحت عنوان «الوعى بحركية الزمن فى الادب العربى» من تأليف الاستاذ محمد موسى بن عمر .

والكتاب قيم ومفيد جدا لطلبة البكلوريا لانه يتناول البرنامج الادبى لشهادة البكلوريا بالدراسة وبالنصوص والتحليل مع تخطيط مواضيع انشائية حول البرنامج .

والاجزاء الستة هى على التوالى : أبو العلاء المعرى والتفكير والتنظير ـ توفيق الحكيم والمأساة الانسانية فى «أهل الكهف» و «شهرزاد» ـ محمود المسعدى وازدواجية الرؤية ومأسوية الملحمة البشرية ـ مدى الوعى بالمأساة فى الادب العربى المعاصر ـ وبمنزلة الانسان فى الكون (عبر مواضيع فلسفية فى المسرح العربى) .

● «كيف أصلى»

كتيب عن الصلاة باللغة الفرنسية للشيخ أحمد القروى مبسط القصد منه تعريف غير العرب والمسلمين الجدد بالصلاة وكيفية أدائها بعد التطهر بالوضوء (أو التيمم مع نموذج مصور لاحدى الصلوات) .

● «الدكتور شكرى فيصل»

صدر من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق كتيب بعنوان «الدكتور شكرى فيصل وصداقة خمسين عاما» بقلم زميل الفقيد وصديقه الدكتور عدنان الخطيب هو تعريف بالفقيد المناضل فى سبيل اللغة العربية وثقافتها مع التطرق الى مسيرته من الصحافة السياسية الى الصحافة الادبية ومحاولة ابراز أسلوبه المتميز ونماذج منه ثم تناول مرحلته المعجمية التى تبتدىء من سنة 1961 دون اهمال السمات الانسانية فى علاقات الفقيد الاجتماعية وما كان يتحلى به خاصة من صبر على المكاره والجحود وما كان يحس به من ألم الغربة

والحنين الدائم الى دمشق من أجل ما فرض عليه حياته من سفر متواصل واغتراب دائم .

● «رمزيات جسدية وفضاءات اسلامية»

كتاب باللغة الفرنسية للسيدة تراكي الزناد فى دراسة العلاقة بين تحركات الجسد الحياتية والفضاء الداخلي والخارجي فى اطار مدينة تونس حسب تطورها الحديث خاصة السكنى وانعكاسات كل ذلك على حياة التونسى المعاصر .

والكتاب من منشورات سيراس لسنة 1984 .

● «البنية الصوتية للكلمة العربية»

صدر بتاريخ فيفرى 1986 للدكتور عبد القادر جديدى كتاب بعنوان «البنية الصوتية للكلمة العربية» وهو على حد قول صاحبه «دراسة فى حسن التلفظ باللغة العربية الفصحى تهم قراء القرآن والمدرسين والمحامين والخطباء والمغنين والممثلين وغير الناطقين بالعربية» .

وانطلاقا من تحديد العملية الصوتية المتكونة أساسا من عناصرها الثلاثة (الباث والحامل والمستقبل) مع التمييز الضروري المتحتم بين التصويت والتلفظ يبرز العمل موسوما بالدقة والتفصيل والتقديم والشرح الواضحين المصورين فيزيلوجيا .

ومن أهم ما فى الكتاب التمارين العملية فى مجال التنفس والتلفظ السليم لنجاح الابلاغ وسلامته .

والكتاب مذيل بمعجم صوتى عربى فرنسى .

● «هلاليات»

كتيب صقيل الورق حسن الاخراج بديع الصور اشترك فى إنجازه باختيار النصوص وتنسيقها الدكتور عبد الرحمان أيوب وبالرسوم الجميلة الغريبة تنويعا والعجيبة شكلا وايحاء الرسام العبقرى عادل مقديش وقدم له فى ثبات وطرافة الاستاذ الطاهر قيقه .

محسن بن حميده

أضداد الفكر

● حول اعفاء البشير بن سلامة من وزارة الشؤون الثقافية :

نورد فيما يلي ما كتبته الصحافة من مقالات بعد اعفاء الاستاذ البشير بن سلامة من وزارة الشؤون الثقافية ، ففي مجلة الوطن العربي الصادرة تحت عدد 486 بتاريخ 6 ـ 12 جوان 1986 نقرا مقالا بقلم الناقد المعروف الدكتـور غـالي شكـري تحت عنوان : «ليس بالمنصب وحده» جاء فيه ما يلي :

اعتاد بعض المثقفين النظر بارتياب الى كل شخص يتولى احدى المسؤوليات التنفيذية في بلادنا ، خاصة في زماننا . واعتاد البعض الآخر ان يؤدي لهذا الشخص نفسه فروض الطاعة والولاء ، ولكن في السر . واحيـانا للاسـف ، نجد من يعارض ويؤيد في وقت واحد . وتزداد المشكلة تعقيدا حين يتصادف ان من يتولى هذه المسؤولية التنفيذية أحد المثقفين ، اي احد زملاء «الوزيـر» مثلا .

اقول ذلك وفي خاطري البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي السابق .. فقد كان هناك من يعارضه طول الوقت ومن يؤيده على طول الخط ، وكان هناك كالعادة من يظهر غير ما يبطن .

وقد انتهى هذا كله الآن ، ولم يعد باقيا سوى «العمل» الذي أنجـزه او لـم ينجزه الرجل ولم يعد باقيا سوى الرجل نفسه الذي لم يكن عاطلا قبل توليه الوزارة ولن يكون كذلك بعدها .

في هذا السياق اقول ان هناك نوعين من الرجال . الاول يـرى في مقعـد السلطة قمة السلم الوظيفي ، بحيث يشعر ان «الوصول» الى هذا المقعد هو ذروة الترقية الادارية . أما النوع الآخر فهو يرى في المقعد الوزاري فرصة كبيـرة

لتنفيذ بعض المشروعات التى يراها ضمن منظور المصلحة العليا . وهو يعلـم سلفا ان هذه الفرصة ليست ابدية ، وانها ايضا ليست «رتبـة» ادارية ... ولذلك فحين تنتهى مدتها ، يشرع من فاز بها لفترة مـن الوقـت فى تنفيـذ مشروعاته بوسائل اخرى كالكتابة اذا كان كاتبا .

البشير بن سلامة رجل له مشروعه الثقافي من قبل ان يتولى المسؤولية الرسمية ، فهو صاحب وجهة نظر فى تاريخ بلاده ، وصاحب وجهة نظر فى اللغة والفكر والادب .

واثناء توليه المسؤولية الثقافية الاولى قام بالاشراف على تخطيط وتـوجيه وتأسيس الاعمال الثقافية التالية : معهد تكوين المنشطين الثقافيين ، المعهد الاعلى للمسرح ، المسرح الوطنى ، الفرقة القومية للموسيقى ، الفرقة القومية للمسرح ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) ، صندوق التنمية الثقافية ، المعهد الاعلى للموسيقى ، المجالس الثقافية الجهوية.

وهى اعمال استغرقت من الجهد المكثف خمس سنوات فقط ، كان خلالها البشير بن سلامة يذهب الى مكتبه قبل اصغر موظف ، ويترك مكتبه بعد آخر موظف ، ولا يتوقف عن العمل فى عطلة نهاية الاسبوع ... فالامر لم يكن تشييد مؤسسات من الحجر ، بل كان افكارا وبرامج وخطط وبشر . وهذه كلها كانت من الوسائل . أما الغايات فكانت بوضوح وتصميم اربع :

◆ الاولى : هى ربط الثقافة بالناس ، اى بأوسع رقعة من المواطنين اصحاب الحق فى مشاهدة المسرح والسنما وتذوق الفنون وقراءة الادب وصقل المواهب لذلك كانت المراكز الثقافية الجهوية ، ولذلك كان معهـد تكـوين المنشطيـن الثقافيين ولذلك ايضا كانت معاهد المسرح والموسيقى . ربط الثقافة بالمجتمع التونسى ربطا حقيقيا ، والايمان بان الثقافة ليست ترفا لقلة من المحظوظين ، بل هى حق اساسى من حقوق المحرومين .

◆ والغاية الثانية المرتبطة بالاولى هى لبرالية العمل الثقافى ... وقد كانت المجلات الجديدة التى تأسست خلال السنـوات الخمس المـاضية ، للشعـر والمسرح ، وكذلك مشروعات ادارة الآداب والفنون فى الوزارة وبرامج الدار التونسية للنشر من اهم القنوات اللبرالية فى تاريخ العمل الثقافى التونسى. وكان تأسيس «صندوق التنمية» الذى يساعد الادباء بشراء انتاجهم على اختلاف اتجاهاتهم ، كما كان تعيين بعض المثقفين فى وظائف مستشارين للوزير ، وايضا تأسيس المجلس الاعلى للثقافة من أهم الوسائل لتـرسيخ اللبـرالية الثقافية .

◆ والغاية الثالثة هي التعريب ، سواء بالنشر او الاستيراد او المهرجانات او الزيارات الفردية للادباء العرب ، او بعقد المؤتمرات ، ولن ننسى انه في عام 1982 شهدت تونس اكبر مؤتمر ثقافي عربي هو «مؤتمر مواجهة الغزو الثقافي الصهيوني الامبريالي» . وهو المؤتمر الذي ضم ابرز الفعاليات والاتجاهات الفكرية العربية . ولن ننسى كذلك انه في عام 1985 شهدت تونس تأسيس «الجمعية العربية لعلم الاجتماع» وانها اعطت التأشيرة القانونية لمقر الجمعية. ولن ننسى اخيرا انه في المركز الثقافي الدولي بالحمامات كان المثقفون العرب يجتمعون باكبر قدر من الحرية . وكل ذلك بفضل الدور المؤثر للبشير بن سلامة . وقد كان التفاعل المستمر بين هذه الاحداث والشارع الثقافي التونسي تفاعلا عربيا الى أبعد مدى .

◆ والغاية الرابعة هي الارتباط بحركة الثقافة العالمية . وقد جاء تأسيس «بيت الحكمة» نموذجا حيا لهذا الارتباط الديناميكي الوثيق سواء عبر برامج الترجمة من والى العربية او بابداع برامج التواصل مع الآخرين في الندوات العلمية .

قام البشير بن سلامة بمحاولة تحقيق هذه الغايات ، لايمانه العميق بأن لتونس دورا ثقافيا وحضاريا يليق بمكانتها وتاريخها . وقد تمكن في حدود الامكانيات المتاحة ان يبرز معالم هذا الدور محليا وعربيا ودوليا .

وقد يختلف الكثيرون مع البشير بن سلامة في الفكر والمنهج ، ولعلني احد هؤلاء الذين يختلفون معه ... ولكن هذا الاختلاف شيء آخر . بل يجب الاعتراف بأن هذا الاختلاف يحسب له ، لانه بالرغم من قناعاته الفكرية الراسخة تعامل مع الثقافة والمثقفين والاحداث الثقافية بمعزل عن انحيازاته الايديلوجية . انه لا ينتمي الى اليسار او التيارات الاسلامية ولا الى القومية العربية . ولكنه لم يصادر فكرة او شخصا او ظاهرة تنتمي الى هذه الاتجاهات . تعنيه الكفاءة والمستوى والقيمة العلمية والوزن الاخلاقي في اطار اللقاء الجوهري حول المثل العليا للثقافة والشعب التونسي والحضارة العربية ـ الاسلامية ، وتجليات الابداع البشري اينما كان .

ومن المؤكد ان البشير بن سلامة يشعر الآن براحة الضمير ، لان «الفرصة» التي اعطيت له في الوزارة قد وظفها لخدمة هذه القيم ... ولانه سيجد ـ بعيدا عن المنصب ـ فرصة من نوع آخر للاستمرار في عمله الثقافي الذي لا ينتهي ، فهو لم يكن واحدا من الذين ينظرون الى المقعد الوزاري كترقية ادارية يحال

بعدها الى التقاعد . انه مثقف وكاتب اولا وأخيرا . والثقافة ليست منصبا ، والكتابة لا تتقاعد . وستبقى انجازاته العظيمة اثناء توليه المسؤولية الرسمية شاهدا لا يدحض على أن المثقف الحقيقي ليس من باعة الاحلام ، كما ستشهد اعماله الاخرى ـ قبل ذلك وبعده ـ على ان المثقف الحقيقي لا يتوقف ابدا عن العطاء .

● **أسباب هذا الإزدهار الثقافي :**

وتحت هذا العنوان نشرت جريدة الاخبار في ركن : (رياح الابداع) ص 14 يوم السبت 17 ماى 1986 مقالا بقلم الصديق الشاعر عبد الله مالك القاسمي جاء فيه ما يلي :

يتساءل البعض هذه الايام عن اسباب ازدهار الحركة الثقافية فى بلادنا .. يتساءلون عن ظاهرة هذه المجموعات القصصية والشعرية الكثيرة التى تصدر باستمرار وبمعدل كتاب وربع فى اليوم (حسب الاحصائيات الرسمية) .. يتساءلون عن اسباب انتعاش المسرح بعد فترة الركود التى شهدها وعن كثرة المعارض الفنية المتزايدة يوما بعد آخر .. باختصار يتساءلون عن سبب هذا الفيضان الابداعى الذى غمر الساحة الادبية والفنية خلال هذه السنوات القليلة الاخيرة .. اى منذ تولى الاستاذ البشير بن سلامة مهام وزارة الثقافة .

وطبعا تختلف الاجوبة باختلاف اصحابها فمنهم من يعتبر ـ مثلا ـ ان النقد قد تخلى عن دوره المتمثل فى غربلة الانتاج الابداعى وتنقية الغث من السمين وبذلك قد ساعد الغياب النقدى على ظهور هذا الكم الهائل من الانتاجات الابداعية فى جميع الاختصاصات والفنون ، وهناك من يعتبر ان ضغط الحصار المادى فى هذا العصر الاستهلاكى ولد الحاجة فى نفوس الناس الى التوجه اكثر الى عالم الروحانيات والجماليات كشكل من اشكال اعادة الاعتبار الى الانسان الروح .. الانسان المبادىء .. الانسان العقل والفكر .. لا الانسان المادة والآلة .

وهناك من يرى ان السبب الاصلى فى هذا الثراء الابداعى فى بلادنا يعود اساسا الى الاجراءات العملية والتقدمية التى اتخذتها وزارة الثقافة بداية من الثمانينات هى التى ساعدت كل العاملين فى الحقل الابداعى على مواصلة الانتاج بفضل التشجيعات المادية والمعنوية التى يحصلون عليها باشكال مختلفة وبتسهيلات كبيرة .

ولئن تعددت اسباب الازدهار الثقافي في بلادنا ولئن اختلفت الآراء في شانها فانه لا احد ينكر ان وزارة الثقافة الحالية هي التي ساعدت على توفير الجو الملائم للخلق والابداع بدون ان تكون صانعة للثقافة لان ذلك ليس من مهامها . بل من مهام المبدعين التونسيين الآن ان يستغلوا هذه الظروف الثقافية الملائمة لمزيد الخلق والابداع ولا خوف من التخمة والتضخم .

● **ستبقى رمزا للازدهار الثقافي :**

وتحت هذا العنوان نشرت جريدة الاخبار التونسية في ركن تداعيات بقلم السيد القاسمي في عددها الصادر بتاريخ 24 ـ 5 ـ 86 مقالا جاء فيه ما يلي :

ذكرنا في التداعيات السابقة باسباب هذا الازدهار الثقافي الذي شهدته الساحة التونسية في السنوات الاخيرة خاصة بعد تولي الاستاذ البشير بن سلامة مهام وزارة الثقافة .

ولم يكن قصدنا ـ فقط ـ تقديم التحيات وايات الشكر الى من قام بتركيز الهياكل الثقافية وبتأسيس المشاريع والقوانين التي اصبحت تمكن المثقف التونسي من القيام بدوره الريادي في مجتمعنا .. لم يكن قصدنا ـ كذلك ـ تكريم هذا الرجل الذي اولى الثقافة كل عنايته واهتماماته وادخلها في الدورة الاقتصادية للبلاد بعد ان كانت الثقافة مهمشة اي بعد ان كانت وزارة الثقافة ـ في نظر البعض ـ وزارة « زينة وعزيزة » والمقصود بها طبعا وزارة الرقص والفنون الشعبية الاخرى ..

بل .. لقد كان قصدنا اكثر من ذلك وهو تكريم الرجل الذي استطاع ان يوحد صفوف المثقفين في البلاد على اختلاف توجهاتهم الفكرية والايديولوجية والسياسية ، وان يمنحهم جميعا وبدون استثناء حقوقهم في ممارسة الفعل الابداعي والثقافي بدون وصاية او احتواء .

اذن .. ليس من باب الصدفة ان يبقى اسم الاستاذ الاديب البشير بن سلامة عالقا باذهان الناس وخاصة منهم المثقفين .. وليس من الصدفة ايضا ان يبقى هذا الموسم رمزا للازدهار الثقافي في بلادنا .

انه لمن الجحود ونكران الجميل ان ينسى او يتناسى البعض ـ في غمرة هذه التحولات الجديدة ـ هؤلاء الناس الذين ضحوا كثيرا من اجل خدمة الثقافة التونسية ماضيا وحاضرا ..

نحن نرفض هذا السلوك الانتهازى لان اخلاقنا وشهامتنا العربية الاسلامية وممارستنا الحضارية فى الحياة تمنعنا من التنكر لمجهودات هؤلاء الناس وتمنعنا من ترديد المقولة الانتهازية الشهيرة : « مات الملك عاش الملك » .

لذلك سنظل ندافع بكل ضراوة عن كل الذين انجزوا اعمالا هامة تخدم مصلحة الشعوب ونظل نذكرهم بخير ونمجدهم سواء كانوا احياء او امواتا . كما اننا سنظل نقاوم ـ بنفس الضراوة ـ كل الانحرافات والانحرافيين وكل التيارات التى تجرى ضد مصلحة الشعوب .

باختصار سنظل نقول ـ بكل شجاعة ـ للمحسن : احسنت ! وللمسيء أسأت ! مهما كانت الاحوال والظروف .. هذه عقيدتنا التى لا نحيد عنها .

لسنا من الذين يمدحون اليوم ويهجون غدا .. فمن يمدح ويهجو فقد كذب مرتين .. لسنا من الذين يتنكرون للغائب ويصفقون للحاضر مهما كان هذا الغائب ومهما كان هذا الحاضر .

انما نحن مع الحق دائما مع الحق .

وفى الختام املنا ان يتواصل هذا المد الثقافى الكبير املنا ان يكون الاستاذ زكرياء بن مصطفى وزير الثقافة الجديد خير خلف لخير سلف مدعما للمسار الثقافى ودافعا لـه .

● **غـادر الوزيـر ... فماذا تـرك ؟**

تحت هذا العنوان نشرت جريدة الراى التونسية الصادرة تحت عدد 377 بتاريخ الجمعة 13 جوان 1986 ما يلى :

عندما كان السيد البشير بن سلامة على رأس وزارة الثقافة ، نشرنا مقالات نقدية فى هذه الجريدة حول عمل وزارته ، سواء بامضائنا أو بامضاء غيرنا ، وكان الهدف من هذه المقالات ان يكون للثقافة وللمثقفين ما يستحقونه ، وذلك بالاشارة الى النقائص لتداركها وبالبحث عن عمل اكثر متانة وتكاملا وتجردا وافادة لعموم هذا القطاع الخطير .. وكانت تلك المقالات فى حينهـا ناشرة ومخالفة للمديح الريائى وللطمع الانتهازى اللذين كانا يحركان بعض الاقلام

بالاشادة والاطراء فى غلواء غير محتشمة ولا حدود لها ، وتتكرر مع كل صاحب سلطة مادام فى السلطة .. !

والان ، وقد غادر الوزير الوزارة ، فيحق لنا أن نلقى نظرة سريعة ، ليست تقييمية بقدر ما هى اعتراف بمآثر ومنجزات الرجل ، طيلة الفترة التى امضاها مسؤولا عن حظوظ الثقافة فى بلادنا .. وهكذا نتساءل عن ماذا أعطى السيد البشير بن سلامة للثقافة ، وبماذا أفادها ، وهل طور عمل وزارته والهياكل والمؤسسات التابعة له بما يستجيب للدور المطلوب من الثقافة ان تقوم به ، وماذا حقق للمثقفين والمبدعين وكيف تعامل معهم ؟

هذه أسئلة جديرة بالطرح والبحث ، لكنها تتطلب مسحا لعمل الوزارة طيلة ست سنوات ، وهذا ليس بمقدورنا فى هذه الكلمة العجولة .. لكن من خلال ما هو ظاهر ورائج ، فمن حق السيد البشير بن سلامة علينا ان نسجل له عديد الانجازات المهمة ، التى لا نتوانى فى وصفها بالكبيرة واحيانا هائلة ، ويتمثل بعضها فيما أرساه من مؤسسات وهياكل للانشطة والفعاليات الثقافية والفنية وما سنه من قوانين وتشريعات لفائدة الفعل الثقافى والمنتجين الثقافيين ، وما أقامه من تظاهرات ومهرجانات متخصصة أشعت على المستوى العربى والافريقى والعالمى ، منها أمثلة لا حصرا ، مهرجان قرطاج المسرحى ، وكذلك ما اصدرته الوزارة فى عهده من مجلات ودوريات متخصصة ، وايضا وقوفه الى جانب الكاتب التونسى بدعمه وتشجيعه عبر صندوق التنمية الثقافية ، هذا الصندوق الذى وان دعم الكثير من الاعمال الاخرى ، فانه لم ينجح كليا فى تلافى العلاقات المصلحية والولائية ٠٠

باختصار ، فان الوزير السابق ، رغم كل شىء ، فقد قام بجهد ودفع حيوى مشهود للعمل الثقافى فى تنوع انشطته وتعبيراته ،وهذا انما يرجع الى حسه ككاتب ومثقف وله ارتباط بالهاجس والهم الثقافى الذى يعتمل لدى المثقفين ، مستفيدا من خبرة طويلة فى ممارسة العمل الثقافى .

واذا صرفنا النظر عن بعض المحاباة التى تمتع بها البعض على حساب القدرة والكفاءة والجودة ، وكذلك ما يفرضه منطق السلطة والعمل السياسى من قيود فاننا نقدر أن نقول-بدون تحفظ: إن السيد البشير بن‌سلامة كان مخلصاومفيدا للثقافة طيلة فترة توليه الوزارة .. وكم نحرص على أن يواصل خلفه السيد زكرياء بن مصطفى دعم تلك المكاسب والانجازات ، والاضافة اليها خدمة للثقافة وللبلاد .

● نظرية التطعيم الايقاعي وندوة جامعة جورج طاون :

انعقدت الدورة الاخيرة للمائدة المستديرة التي نظمتها جامعة جورج طاون (الولايات المتحدة الامريكية) من 10 الى 13 مارس 1986 وقد تركزت محاورها حول التطورات الراهنة في اللسانيات والسيمياء .

شارك في هذه التظاهرات أكثر من 500 باحث من كافة انحاء العالم وعن المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات « بيت الحكمة » ـ مخبر التجديد والابداع (تونس) شارك الاستاذ صالح الكشو . والبحث الذي قدمه كان بعنوان : **نظرية التطعيم الايقاعي** للاستاذ البشير بن سلامه .

لاحظ الباحث التونسي في هذا الصدد ان هذه النظرية من صميم الابحاث التي تتناول الفنلوجيا غير الخطية (multi - lineare phonology) اليوم وبالخصوص الفنلوجيا الايقاعية (prosodic phonology) **لا فقط على الصعيد المفهومي** بل وحتى على المادة اللسانية .

فان كانت المشجرات (Trees) وتشذيبها (Tree - prunimg) (انظر Ross. J. R.) وتطعيمها (Tree-grrfting) (انظر Clemens, G.) من جملة المفاهيم المطروحة على صعيد البحث اللساني الفنلوجي والتركيبي فان النظر في **التطعيم** على مستوى اللغة الأم ولغة الكتابة جديد في حد ذاته وهو لا يقوم على البحث المقارن فحسب بل هو ينبني أساسا على فرضية الابداع وماهيته عند الكتابة .

ويضرب الباحث مثالا لذلك يقول : إنه أخذه من صاحب النظرية الاستاذ البشير بن سلامه نفسه (الفكر ، السنة 30 ، العدد 2 ، نوفمبر 1984) . **هذا** المثال هو من قصيد الشابي : « للتاريخ » :

البؤس لابن الشعب ياكل قلبه ....

يفترض الباحث ان نظام اللغة العربية هو كالتالي : الفعل الفاعل المفعول وان كل ما خالف هذا النظام ناتج عن اغراض بلاغية قد يسمح بها النظام القاعدي وقد لا يسمح بها . يفترض الباحث كذلك ان نظام اللهجة التونسية هو التالي : الفاعل الفعل المفعول ويزكي هذا الاختبار الابحاث الجارية في نظام اللهجات العربية (انظر الفاسي الفهري للمغربية مثلا) .

فى ضوء هذا يقترح الباحث التحليل التالى بالنسبة لبيت الشابى (أعلاه) :

أصـل التـركيب :

أ) البؤس هو بؤس ابن الشعب

ب) ياكل البؤس قلب ابن الشعب

ولكن النظر فيما يوحى به من حس لغوي وتعليل هذا الحدس يضطرنا الى افتراض **رابط ذهنى مركزه الوقف** عند قراءة البيت يربط ما بين لفظة **البؤس** فى صدر البيت ونفس اللفظة فى هذا المركز .

البـؤس لابـن الشعـب (أ)

البـؤس يـاكـل قلبـه (ب)

ياكـل البـؤس قلب ابن الشعب

البـؤس ياكـل قلب ابن الشعب

فاذا علمنا بالاضافة الى هذا اننا لا نقول فى اللهجة التونسية :

* ياكـل البـؤس قلبلو :

ثبت لدينا من بين المؤشرات مؤشر تركيبى يدل على صحة ما نذهب اليـه من افتراض فى التحليل تمشيا مع **فرضية التطعيم الايقاعى الكبرى** .

ويذكر الباحث فى هذا السياق بذلك المؤشر الايقاعى الذى ذهـب اليـه الاستاذ البشير بن سلامه عندما اقترح قراءة مقطوعة « للتاريـخ » كما هى باللغة الفصحى ثم على سبيل التجربة قراءتها باللهجة التونسية ، (الفكر : نفس العدد) .

وسوف تصدر هذه المساهمة ضمن وقائع المائدة المستديرة بجامعة جورج طـاون (1986) .

ونحن نتمنى لكامل فريق التطعيم الايقاعى ضمن مخبر التجديد والابداع ـ بيت الحكمة ـ ومن بينهم الاستاذ الكشو كامل التوفيق .

● المؤتمر الخامس للادباء والكتاب العرب :

انطلقت بالعاصمة العراقية ببغداد فى السابع عشر من شهر مارس 1986 أشغال المؤتمر الخامس للادباء والكتاب العرب بمشاركة 300 أديب من عرب وأجانب ، وقد امتدت مساحة اللقاء فى هذا المؤتمر ثمانية أيام كاملة تمت فيها مناقشة أكثر من خمسين دراسة تتعلق بالترجمة والنقد وواقع الثقافة العربية المعاصرة بالاضافة الى العديد من الجلسات الادبية والامسيات الشعرية .

● اليونسكو والتراث العالمى :

يعقد المجلس الدولى لصيانة المواقع والممتلكات الثقافية التابع لمنظمة اليونسكو فى شهر جوان 1986 اجتماعاته المخصصة لطلبات ادراج آثار الدول الاعضاء على قائمة التراث العالمى ، وقد أدرج المجلس فى برنامج أعمال اجتماعاته طلب الاردن ادراج آثار جرش والبتراء ضمن قائمة التراث العالمى خاصة بعد التوصية التى رفعها للمجلس الدكتور ماكسويل بورك نائب المدير العام لصيانة المواقع والممتلكات الثقافية فى المنظمة الذى اطلع على آثار جرش والبتراء وعاين طبيعتها وأهميتها .

● الابداع التشكيلى بين تونس واليابان :

تلاقحت فى الفترة الفاصلة بين 24 و 28 فيفرى 1986 عناصر الابداع التشكيلى التونسى واليابانى من خلال معرض أقامته الرسامة التونسية السيدة جعفر وذلك برواق « ماتسوزاكى » بطوكيو . وقد تميزت اللوحات المعروضة بمدى قدرة الرسامة على خلق عناصر التقاء شكلية ومضمونية بين خصوصيات الفنين : التشكيلى التونسى واليابانى مؤكدة بذلك بعض ملامح انسانية الابداع الفني .

● أزمة أم مرحلة انتقالية ؟ :

« هل العرب والمسلمون يمرون بفترة الانحلال أم أنهم يعبرون مرحلة من التوتر تبشر بتطور ؟ » للاجابة عن هذا السؤال اجتمعت بباريس فى الشهر الماضى أربع شخصيات فكرية : « مكسيم رودنسون » (عالم اجتماع) ، « دومينيك شيفالييه » (عالم سياسة) ، « محمد عرقون » (عالم انثروبولوجيا) و « رجاء جارودى » (فيلسوف) ... وجاءت اجاباتهم متباينة... « فرودنسون » يعتبر أن الازمة أصلا هى أزمة سياسية وثقافية...

ويؤكد « شيفالييه » أن العالم العربي الاسلامي يعيش حالة من التوتر الممتد حول بعض النقاط الرئيسية مثل المسألة اللبنانية والمشكلة الفلسطينية ولا يعيش حالة أزمة .. وأشار « جارودي » الى أن الذي أفلس هو النموذج العربي للنمو والثقافة والاتصال وليس النموذج الموجود في الشرق .

● **الانسان العربي والعطاء العلمي :**

انعقدت بالعاصمة الاردنية ، عمان في الفترة الفاصلة بين 13 و 16 ماي 1985 ندوة فكرية حول « تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي » أشرف على تنظيمها مركز دراسات الوحدة العربية ، وقد شهد برنامج الندوة مناقشة خمسة عشر بحثا انصهرت داخل أربعة محاور هي :

- العلم والمجتمع .
- دور المؤسسات في تحقيق التكوين والعطاء العلمي .
- السياسة العلمية .
- النظرة المستقبلية .

● **« جون جيني » ... الشاعر « اللص » الذي رحل مقدسا الابداع :**

عن سن تناهز السادسة والسبعين من العمر ، فارق الشاعر الفرنسي « جون جيني » الدنيا ، بعد أن أثار الرأي العام العالمي بممارساته وابداعاته المثيرة . فمن أب مجهول ، حيث رمت به أمه الى الشارع لحظة ولادته لتحتضنه عائلة ريفية ، شب جون جيني على رفض القيم الاجتماعية اذ سرعان ما جرفه تيار الانحراف ليصبح من أخطر ممارسي عمليات السطو والسرقة الموصوفة، ودخل السجن في أربع عشرة مرة طوال الخمس والثلاثين سنة الاولى من عمره. وقد كانت ظاهرة الجرأة المبالغ فيها والتجاوز الصارخ والرفض العنيف بارزة في ابداعاته الشعرية والنثرية فهزت الرأي العام الادبي في فرنسا وأوربا خصوصا في النصف الاول من الخمسينات ، ولكن رغم اعتباره « لصا محترفا » في سجلات الامن بفرنسا فان « جون جيني » كان يقدس الابداع البشري ولم يجرأ يوما على السطو على ابداعات الآخرين .

● **جائزة « ولادة » للشيخ مبارك بن سيف آل ثاني ، و « ابن خفاجة » لحسان عطوان :**

كرم المعهد الاسباني العربي بمدريد أخيرا الشاعر القطري الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني وذلك بأن أسند اليه جائزة « ولادة » بنت المستكفي عن ديوانه « ليال صيفية » أما جوائز خفاجة وابن خلدون وابن طفيل التي يسندها

المعهد كل سنة فقد كانت هذه المرة من نصيب الشاعر السوري المقيم بقطر الصديق حسان عطوان عن ديوانه « معمورية الدم » والشاعر المغربي أحمد المشاطي والشاعر الاسباني كارلوس مورسيانو .

● « القراصنة » في افتتاح الدورة الجديدة لمهرجان كان :

انعقدت الدورة التاسعة والثلاثون لمهرجان «كـان» السنمائي في الفترة الفاصلة بين 8 و 19 ماي 1986 وكان الافتتاح بشريط « القراصنة » الذي انتجه المنتج السنمائي التونسي طارق بن عمار وأخرجه المخرج الكبير رومان بولانسكي وصورت أغلب مشاهده بتونس . علما وأن مهرجان «كان» السنمائي يعتبر التظاهرة الاكثر متابعة في العالم بعد دورات الالعاب الاولمبية وكاس العالم لكرة القدم .

● الفن الالماني في القرن العشرين :

عرضت قاعات الاكاديمية الملكية بلندن مؤخرا معرضا شاملا للفن الالماني في القرن العشرين . وقد حددت اللوحات المعروضة طبقا لاربع مراحل زمنية مضبوطة . المرحلة الاولى تمسح الفترة الفاصلة بين 1900 و 1914 أي زمن امبراطورية وليام الثاني ، والمرحلة الثانية وهي التي انحصرت بين 1918 و 1933 وعرفت بمحاولات اقامة نظام ديمقراطي على أنقاض الحرب العالمية الاولى وأخيرا المرحلة الثالثة أي مرحلة الحكم النازي المطلق وقد ظهر جليا وواضحا أن الفن الالماني كان انعكاسا لكل هذه المراحل المتناقضة .

● الملتقى العربي الاسباني الثاني :

انعقد بمدينة المونيبكار (المنكب) الملتقى العربي الإسباني الثاني وقد تمخضت وقائعه عن عدة توصيات هامة تتعلق أساسا بتكثيف التعاون العربي الاسباني على مستوى التوثيق واللغة والفكر والفنون والآداب والآثار ومن أهم هذه التوصيات انشاء مركز ثقافي عربي اسباني وبعث مركز للكتب والوثائق العربية وادخال مادة اللغة العربية في برامج التدريس للمراحل الثانوية باسبانيا ، واصدار كتاب سنوي يحتوي على أعمال ونتائج الملتقيات وتشكيل لجنة متابعة تتولى ملاحقة تنفيذ التوصيات بشكل دوري .

● الشاعر التونسي عبد العزيز قاسم يحرز على جائزة ابن زيدون

اسند المعهد العربي الاسباني بمدريد جائزة « ابن زيدون » للشعر لسنة 1986 الى الشاعر التونسي عبد العزيز قاسم عن مجموعته « نوبة حب في عصر الكراهية » تهانينا الحارة الى صديقنا عبد العزيز قاسم والى أسرة الأدب والفكر في تونس .